الفصل الثانى

دليل النصائح التربوية

مقدمة

تتجلى أهمية الطفولة المبكرة -مرحلة ما قبل التمييز، أو مرحلة ما قبل المدرسة- حين نعلم أن الطفولة الإنسانية أطول من أى طفولة فى الكائنات الحية، كما تتميز الطفولة الإنسانية بالصفاء والمرونة والفطرية، وتمتد زمناً طويلاً يستطيع المربى خلاله أن يغرس فى نفس الطفل ما يريد، وأن يوجهه حسبما يرسم له من أهداف، ويستطيع أن يتعرف على إمكاناته فيوجهها بما ينفعه، وكلما تدعم بنيان الطفولة بالرعاية والإشراف والتوجيه كلما كانت الشخصية أثبت وأرسخ أمام الهزات المستقبلية التى ستعترض الإنسان فى حياته.

وما يتربى عليه الطفل يثبت معه مدى حياته، وما يحدث له فى الطفولة المبكرة يرسم الملامح الأساسية لشخصيته المستقبلية، فيصبح من الصعوبة إزاحة بعض هذه الملامح مستقبلاً سواء كانت إيجابية أو سلبية، من هنا تظهر أهمية ممارساتنا فى توجيه أبنائنا.

وتعتبر مرحلة ما قبل المدرسة من أهم سنوات التعلُّم بالنسبة للطفل، وفيها تلعب الأسرة دور المعلم الأساسى، حيث تشكل طفلها وفق المعايير والسلوكيات التى ترغب فيها، وقد يعمد بعض الآباء إلى التعامل مع الطفل، وكأنه آلة يبرمجونها حسب اهتماماتهم دون النظر إلى احتياجات الطفل ورغباته ومشاعره!

فالطفل منذ عمر ٩ أشهر إلى سن ٤ سنوات تقريباً تسيطر عليه حاجات نفسية، وطبيعية تنطلق منها سلوكياته، فيحب الاستطلاع والاستكشاف لما حوله، وتصبح هذه الحاجة أهم من الطعام لديه، فإذا لجأ إلى قص ملابسه فهو يظهر

قدرته على استعمال المقص، ويرى كيف يعمل هذا المقص، أو إذا أخذ وقتاً طويلاً فى إخراج أدوات المطبخ من مكانها ووضعها داخل بعضها فهو يحاول اكتشاف هذه الأوانى باختلاف أشكالها وما تصدره من أصوات حين تصطدم ببعضها، ولا يبدو له أن ما وصل إليه من نتائج تثير غضب والديه، وعندئذ يتملكه العجب والحزن لعدم رضا والديه عن أفعاله، ويغضب لما ينزل عليه من لوم أو تقريع، فحينما يكون فى قمة تحقيقه لنجاح يحبطه الوالدان باعتباره عملاً غير مرغوب فيه!

لذلك فإن عدم فهم الوالدين لهذه الحاجة وطرق إشباعها بشكل سليم قد يُحدث قصورًا فى التفكير الابتكارى والمبادرة لدى الطفل مستقبلاً، لذا ينصح الخبراء بضرورة تخصيص غرفة للعب الأطفال دون أن يتابعهم والداهم بالكف والتوجيه، وأن ينتقوا لهم اللعب البسيطة التى يمكن فكها وتركيبها دون أن يلحقها تلف، وضرورة توفير مثيرات متنوعة تثير داخل الطفل أسئلة كثيرة، مثل التنزه فى الحدائق، والاطلاع على الكتب، واللعب بالطين والصلصال، فهو أيضاً ينمى ذكاء الطفل.

وتتشابك مع هذه الحاجة حاجته إلى الانتباه والاهتمام من الآخرين، فهى من السمات البارزة للطفل السوى، حيث يرى نفسه مركزًا للكون ومنه ينطلق الآخرون، فيُطبَع هذا الدافع على معظم سلوكياته، فهو يجرب ويبتكر الطرق التى تثير انتباه والديه واهتمام من حوله، بإغلاق التليفزيون مثلاً وتمزيق الجريدة وسحب القلم من يد أبيه أوالعبث بالتليفون أثناء استخدام أمه له، وقد يجدها فكرة جيدة أن ينبطح أرضاً ويصرخ ويركل الأرض بقدميه عند عدم تنفيذ مطالبه وانشغال الوالدين عنه، فعندما نأخذ تلك التصرفات بهدوء ودون "عصبية"، وذلك بتجاهلها وعدم إعطائه أى اهتمام أثناءها، تكون هى الطريقة المثلى لعدم ترسيخها وأخذها عادة لديه.

وفى المقابل، فإن محاولة صرف انتباه الطفل إلى لعب ومثيرات جديدة عليه ومشاركته فيها تمثل قمة المتعة لديه، والأهم من ذلك إعطاء الطفل الحنان والاهتمام الكافيين حتى ينتهج سلوكيات مرغوبة، وعلى الوالدين ملاحظة طفلهما من وقت لآخر إذا كان دائماً متهيجاً وعدوانياً ومخرباً أكثر من اللازم، فذلك يكون محصلة لما يجد من قلة اهتمام وحنان من الأسرة.

وأخيرًا.. فإن إدراك الوالدين لسلوكيات طفلهما على أنها غير عبثية ولا مخربة يجعلهما يتتبعان ظروف تلك التصرفات ودوافعه نحوها، وبالتالى القدرة على السيطرة عليها ومعالجتها بالأساليب التربوية الناجحة؛ حتى لا نبنى شخصية طفل غير متوازنة دون قصد.

ومن هذا المنطلق –عزيزى الأب .. عزيزتى الأم– نقدم لكما الصفحات التالية، والتى تعد بمثابة دليل للنصائح التربوية للتعامل مع الطفل.

مطبات التربية... احذروها

يقول أحد الآباء:

لدى طفل عمره عشرون شهرًا، يمشى ويأكل بشكل طبيعى، لكنه لا يتكلم إلا كلمة ماما أو بابا، ولديه سلوك عدوانى، خاصة أنه فى بعض الأحيان يكون عنيفًا ويرمى فى الأرض كل ما يجده أمامه، وكلما نبهته أو نهرته لا يستجيب، وربما يزيد عنفًا، وأحيانًا أخرى يكون هادئًا، وهذا السلوك يتزايد كلما كبر فى السن، وللعلم إنه ليس له إخوة، كما أن اختلاطه مع الأطفال قليل. ماذا أفعل؟

ولهذا الأب نقول:

هذه المشكلة -على اعتبارها مشكلة أب لأول مرة- تحمل طبيعة خاصة تختلط فيها الرغبة والرهبة...الرغبة فى فعل الصواب دائمًا والرهبة من الوقوع فى أى خطأ، ولا عجب، فهكذا الإنسان خاصة عندما يكون مسئولاً، وما أجملها وأعظمها مسئولية حين تكون أبًا.

ولكن دعنى أنبهكما -أنت وأمه- إلى أن احتدام الرغبة والرهبة داخلنا أحيانًا يجعلنا نقع فى "مطبات" التربية.. وأقولها "مطبات"؛ لأنها رحلة غير ممهدة، ولكننا يمكننا تجاوزها بأمان، والسير قدمًا بأقل العثرات.. ولا ينير هذا الطريق الطويل سوى المعرفة، ولا يدفعنا للسير بثبات أكثر من إيماننا بأننا أصحاب أمانة، وحق علينا أن نؤديها مهما واجهنا من الصعاب.

وما دفعنى لهذا التقديم إلا كلمتك "والسلوك يتزايد كلما كبر".. لمَ يا أخى هذا التوقع السلبى؟ توقع الخير تجده، ما تتوقعه الآن ليس صحيحًا، فكلما كبر ابنك وعى ونضج أكثر، الأمر ينحصر فى تعريف خاطئ لهذا السلوك الذى يأتيه

ابنك فأنت تقول عدوانية، وذو العشرين شهرًا يقصده استطلاعا لأثر هذا الرمى على الأرض، أو يقصده استطلاعا لأثر هذا السلوك على والديه والمحيطين به.

هكذا أنت ترى وتفسِّر من جهة وابنك فى جهة أخرى.. وسوطن الخطر والخطأ هنا أننا نتعامل مع هذا الابن وفق تسميتنا وتفسيرنا نحن.. رغم خطئه.

لذا لا بد أن نعرف كيف يفكر ويشعر هذا الابن.. سأوضح لك أكثر... الأطفال فى هذه السن خرجوا لتوِّهم لعالم أوسع وأرحب بعد أن تمكنوا من السير بمفردهم، والآن هو يريد أن يستطلع هذا العالم من حوله، وأن يلفت النظر لقدراته التى اكتسبها لتوّه، يريد أن يوصِّل إليكم رسالة "أنا قادر" "أنا أفعل" "أنا موجود" "أنا كائن مختلف مستقل" "أنا أستطلع".. هذه هى رسائله التى تحملها تصرفاته، كأن يرمى الأشياء على الأرض، كأن يصرخ ويعلو صوته، كأن يجرى هنا وهناك، كأن يقفز، كأن يحدث أصواتًا بلعبه، وهكذا...، ولكن رسائله هذه حين نفسرها يصيبها التشويش، فنقول: لماذا أصبح ولدنا عنيفًا، عدوانيًا، شقيًا.. وليتك أوضحت لى بصورة أكثر تفصيلاً ما الذى تعنيه بالعنف والعدوانية لدى ابنك.. هل هو مجرد رمى الأشياء، فأسايرك وأقول إنها سلوك سيئ، وأقول لك ماذا تفعل؟

أولاً أرجو أن تتابع طفلك، هل هو يمارس قذف هذه الأشياء على أنها لعبة أم أن ذلك تعبير عن الغضب؟ فى الحالة الأولى سأقول له مرة بعد مرة، وسأحاول أن أجعلها لعبة جماعية بالفعل.

تخيَّل معى هذا الموقف: "ابنك ممسك بتليفونك المحمول ويريد أن يقذفه، أنت تجرى لتحاول الإمساك به قبل قذفه، والنتيجة أن ابنك سرعته أكبر فيقذفه بالفعل، فتأتى وتصرخ فيه وتوبخه، وتعتقد أن هذا السلوك من جانبك سيجعله يكف عن قذف الأشياء مرة أخرى.. قد يخاف الابن وينتهى عن ذلك فى

حضورك، ولكن نكون قد زرعنا بذرة الخوف الأولى وبذرة تحطيم الضمير الذاتى فى نفسه؛ لأنه فى غيابك، سيمارس ما يمتّعه بغضّ النظر عن صوابه أو خطئه".

الموقف الثانى: "ابنك بدأ يأخذ التليفون المحمول، أنت تسرع بابتسامة وتقول له اقذف لى، فيسعد بأنه وجد رفيقًا للعبه، ثم تأتى وتقول له بعد أن تجلس على ركبتيك، وتحتضنه وتنظر فى عينيه، وأرجو أن تلاحظ ملامح وجه طفلك فى هذه الحالة، وتقول له: ما رأيك أن تحضر الكرة بدلاً من هذا التليفون... أتدرى ما الذى يمكن أن يحدث لو وقع على الأرض؟ سينكسر.. أنا أحب هذا التليفون فلا أريده أن ينكسر، ولكنى أحب جدًا أن أقذف معك الكرة، أسرع.. أتريد أن نلعب بالكرة معًا؟..". فى هذه الحالة ماذا تظن أنه فاعل؟

ظنى الكبير أنه سيسرع فعلاً ليلعب بالبديل الذى أعطيته إياه، إضافة إلى أنه بدأ يتعلم شيئًا عن طبيعة الأشياء، فهذا يُكسر وهذا يتحمل، وهذا يرتد من الأرض بعد قذفه، وهكذا.

والأهم من ذلك أنه وجد صديقًا يثق به، ويشاركه رغبته فى الاستكشاف واللعب، فضلاً عن بداية تعرُّفه على مشاعر المحيطين به، فهذا يُغضِب بابا، وأنا أحبه ولا أريد أن أغضبه، وهو يحبنى ولا يريد أن يحرمنى مما أحبه... وهكذا.

احرص على بناء ثقة ابنك بك، "فالمحبُّ لمن يحبّ مطيع" وهو سيسعى لإرضائك بكل قدرته، وإن كنت لا أرضى أن يكون مجرد إرضاء الوالدين هدفًا نسعى إليه فى التربية، ولكن لتعوّده الصواب لابد أن تمر بمرحلة الحب أولاً، وبناء الثقة فى أنك الشخص المناسب الذى يمكنه أن يسألك عن بدائل دون أن تحرمه مما يحب أن تعطيه البديل.

ولعلك تتبع ذلك فى كل مواقفك مع الطفل، فهو يريد أن يتعلم ويعرف ويستكشف ويجرب، فكن هذا الرفيق، وستنال بذلك الخير الكثير على المدى القريب والبعيد.

هذا الحديث المستمر مع ابنك من شأنه أيضًا أن ينمى لديه اللغة ويُسرِّع بحديثه.. فالطفل يحجم أحيانًا عن الكلام حين تكون البيئة المحيطة به بيئة ضاغطة، كثيرة النقد، كثيرة التوبيخ لا يجد فيها دعمًا، فالطفل فى طبيعته رغبة التعبير، ولكن فى بيئة هادئة، محبة، مشجعة، داعمة، ولتوفير هذه البيئة الداعمة للطفل:

- تحدَّث للطفل بصوت هادئ واضح.
- اسأله كثيرًا، وشجّعه على سؤالك.
- أسمعه القرآن الكريم (فترة قصيرة حسب قدرته).
- أسمعه الأغانى المحببة للأطفال.
- اقرأ له القصص.
- زوروا أماكن كثيرة، وتحدث باستمرار لطفلك عن هذا الأماكن، وماذا تفعل فيها، وماذا يوجد فيها، وهكذا...
- تحدث.. تحدث.. تحدث إلى طفلك.
- اشرح له أثناء قيامك بأى عمل ماذا تفعل: (الآن سنصنع فطائر، نحضر اللبن، هذا هو اللبن.. انظر إنها علبة اللبن.. هذا لبن ما أجمل لونه... إنه أبيض.. أبيض كلون عربة زياد الجديدة، دعنا نحضر الإناء الأحمر.. صب اللبن يا زياد.. أتريد مساعدتى.. أمسك باليد اليمنى.. صب قليلاً.. قليلاً.. هكذا صببنا اللبن... ممتاز) صفّق له وشجعه.. فقد أتى عملاً عظيمًا، وهكذا...

ما الذى استفاده ابنك من هذه المشاركة:

- وقت دافئ ملئ بالحب، وهو أكثر ما يحتاجه الطفل.
- الصداقة الحميمة معك.
- شعوره بالثقة بالنفس والزهو، فهو يشارك أباه وأمه فى أعمالهما.. إنه قادر.. يستطيع، وهذا الشعور بالقدرة يبنى ثقته بنفسه، ويشعره بأنه يمكنه عمل المزيد.
- هذا الشرح المتواصل والدائم والمتنوع وما فيه من خبرات مختلفة يعطيه الخبرة ذاتها، فهو سيتعلم صنع الفطائر، وصبّ اللبن مثلاً، وغير ذلك مما تمارسانه سويًا، وهذه الخبرات هامة لبناء ثقة الطفل.
- فى هذه التجربة البسيطة تعلَّم مفردات جديدة " لبن – فطائر – أحمر – أبيض"، وهكذا بدأ يكوّن خريطة المعارف وقاموس اللغة لديه، وتجربة بعد أخرى تضيف لهذا القاموس وهذه الخريطة.

الأطفال الذين ينجحون فى المرور بهذه الخبرات يتعلمون القراءة مبكرًا.. أتدرى لماذا؟ لأن القراءة عملية أساسها التمييز البصرى، وحين نقول "لبن"، ويلمح كلمة لبن مكتوبة فهو يسجل فى عقله علاقة هذه الكلمة المكتوبة بهذا الصوت "لبن" الذى يسمعه، وهكذا مع الوقت يتعلم القراءة، ولعلك تلاحظ أن الأطفال يعرفون علامات المرور وعلامات الماركات العالمية التى يستخدمونها، وفى ذلك إشارة لأن الطفل يميز بصريًا، ويبنى علاقات بين الصوت والكلمة.

من فنون التربية.. استثمار الإيجابيات

يقول أحد الآباء:

ابنى عمره عشر سنوات، مستوى ذكائه عالٍ والحمد لله، لكنه كثير الحركة والمشاغبة مع إخوته، وأصدقاء إخوته، وسريع الرد اللاذع، لكنه أحيانًا يقرأ

القرآن الكريم، ويسألنى أن أضع يدى على رأسه وأقرأ له القرآن الكريم ليهدأ، علمًا بأنه منظم فى غرفته، وكثير الملاحظة. أريد أن أسأل عن كيفية توجيهه التوجيه السليم نحو معاملته مع الآخرين، وحماية نفسه، وكيفية استغلاله لذكائه فى التحصيل الدراسى.

ولهذا الأب نقول:

دعنا ننظر إلى نصف الكأس الممتلئ؛ لنستلهم منه العزم على ملء الجزء المتبقى منه؛ ولهذا يمكن أن نعيد صياغة المشكلة على طريقة "استثمار الإيجابيات" مثل: ابنى ولد ذكى، مرح، ملئ بالحيوية، مفعم بالنشاط، إذا عاد إلى المنزل امتلأت أركانه بالحياة، والحركة، والضحك، والمشاكسة، منظم فى غرفته، ويحب قراءة القرآن الكريم... أليست هذه صورة أجمل لابنك؟ أليس هو كذلك فعلاً؟

وقبل أن أقدم لك اقتراحاتى أودُّ أن أوضح لك شيئًا مهمًّا عن خصائص هذه المرحلة العمرية؛ ليكون ذلك عونًا لك على مزيد من الفهم لبعض محركات أو موجِّهات سلوكه:

- إن من ملامح سنّ العاشرة الاندفاع والمشاغبة، وحب المخاطرة والتجريب؛ ولذلك يشاكس طفلك كثيرًا، ولكن يجب التفريق هنا بين المشاكسة الضارة، وكثرة الحركة والحيوية التى هى مما قال فيها المصطفى -صلى الله عليه وسلم-: "عراقة الصبى فى صغره زيادة فى عقله عند كبره" . وبالتالى فنحن كآباء بدلاً من أن نلوم الطفل على إزعاجه للآخرين، علينا مساعدته؛ ليكون أكثر هدوءاً، فالنقد الدائم والمواعظ المطوَّلة تزيد من المشكلة ولا تقلِّل منها، وبعض الأولاد يشعرون بالمتعة فى إغاظة الكبار وإحراجهم، وإثبات أنهم مثل الكبار لديهم جملاً لاذعة وفصيحة.

- كما أن المستوى العالى لذكاء طفلك يدفعه للمعرفة والاكتشاف، اكتشاف الأشياء والعلاقات وردود الفعل، ومن خلال ذلك الاكتشاف والبحث تتكون لديه حصيلة لغوية يجمعها من البيئة المحيطة دون رقيب أو تمييز أحيانًا، وتدخل فى قاموسه اللغوى الذى يستعمله مع تطوره الذهنى المفاجئ فى بداية سن البلوغ (سن ابنك)؛ ولهذا فعندما يستخدم بعضًا منها -غير المقبول اجتماعيًا- دون مراجعة فإنها تبدو لاذعة ومفاجئة للكبار.

وإن كان يطمئننا ما يبدو من طلبه أن تقرآ عليه القرآن الكريم حيث إنه يشعر بالذنب؛ لكثرة الشكوى من غيظه، فيظن أنه مخطئ جدًا؛ ولهذا يجب أن نكون -كآباء- عادلين فى توجيه سلوك الأبناء بلا مبالغة.

- من المحتمل أن ابنك يفعل ذلك لأنه لا يجد الاهتمام الكافى، ويريد أن يلفت النظر إلى ذكائه وشخصيته، وهو فى هذه المرحلة يبدأ البحث عن سند أسرى، فيقوم ببعض الحركات للحصول على الاهتمام والمزيد من العطف والتفهم.

ويبدو أنه يحب الاطلاع والحياة الاجتماعية، ولكنه يخفى -خجلاً- ما يفعله بمشاكساته، وبالتالى يجب عليكما أيها الوالدان البدء فى فتح قنوات الحوار معه، فقد بدأ طفلكما يخطو أولى خطواته نحو عالم الكبار، وبدأ فى دخول مرحلة المراهقة، وعليكما الوعى بأن مرحلة القلق قد بدأت عنده، ويحتاج إلى المساعدة والاستماع له والتوضيح لما قد يقلقه.

ومن الأساليب التى يمكن أن تساعده فى تحسين طريقته فى التعامل مع الآخرين:

- أن تكونوا -أقصد أفراد الأسرة- أنفسكم مستمعين جيدين لبعضكم وله، ومحاورين جيدين أيضًا، حتى يأخذ منكم الدرس العملى الذى هو أعظم تأثيرًا

من آلاف الكلمات على ضرورة تعلم الصبر أثناء الاستماع، وأخذ الأمور بجدية أكثر.

- وعليكم إظهار استنكاركم لأية كلمة غير مقبولة تصدر منه أو من غيره، وتوضحوا له أن هذه الكلمات ليس من الصواب التلفظ بها، ولكن بطريقة هادئة حازمة دون سيطرة تَحدُّ من حريته وذكائه.
- وفى المقابل عليكم تعزيز كل سلوك طيِّب يقوم به، فكلما مرَّ موقف لا يشاكس فيه يُثنَى عليه باختصار، ولمدة محدودة مع إهمال المشاكسة المزعجة، وهكذا سيبدأ السلوك المزعج فى التلاشى.
- ومن الأمور التى يمكن أن تساعد فى تهذيب سلوكه العمل على شغل وقت فراغه، فالنفس عامة إن لم تُشغَل بالطاعة شغلت صاحبها بالمعصية، وبالتالى عليكم العمل على شغله بما هو مفيد ويستطيع إفراغ طاقته فيه، وأعتقد أن طفلك من هذا النوع الذى يمكن توظيفه فى التفوق الرياضى، أو الممارسة اليومية لرياضة ضبط النفس واحترام الآخرين كـ"الكاراتيه"، والتى يعتقد بعض الأهل خطأ أنها رياضة تزيد الطفل حركة وعنفًا، والواقع أنها تعلِّمه السيطرة على نفسه، والتحكم فى تصرفاته المندفعة.
- عليكم أيضًا العمل على دمجه مع الأصدقاء والأقارب، وتشجيعه ومساعدته على اختيار أصدقائه، وكيفية التعامل معهم، واحترام العلاقات الاجتماعية، والتعامل مع الأخطاء، كل هذا من خلال القدوة فى تعاملكم معه، وعبر الحوار والتوجيه الهادئ لما يمكن أن يصدر عنه من أفعال لا ترضيكم.
- ولتعليمه حماية نفسه بالتوجيه المباشر، دعوه يخوض بعض التجارب بنفسه، ولكن تحت إشرافكم، فأحيانًا تكون التجربة الذاتية خير مُعلِّم، وحين تتركوه يلمس نتائج بعض تصرفاته فلن يكررها مرة ثانية.

- وعلى طريقة استثمار الإيجابيات يبقى الأطفال حتى هذه السن يحبون قصة ما قبل النوم، وهى طريقة جيدة جدًّا لمحاورته حول قصة تتعلق بسلوك يخصه ونريد تعديله؛ لأن ما يتعلم قبل النوم يبقى راسخًا فى الذهن.
- وأخيرًا يمكنكم تعليمه طريقة راقية للتعبير عن رغباته ومشاعره دون سخرية، بتشجيعه على ممارسة بعض الأنشطة والهوايات التعبيرية الراقية، مثل: الرسم، والكتابة، وآداب المشاركة فى الحوار، كل هذا بطريقة هادئة تساندها القدوة الصادقة، والتقبل، والحنان، مع غمره بمزيد من الاهتمام والعناية الجادة.

تنمية ذكاء الطفل

يقول أحد الآباء:

ابنى يبلغ من العمر ثمانية أشهر ونصف، بدأ يتحرك فى بداية الشهر الثالث، وكان شديد الانتباه لمن حوله، والآن يحبو ويمشى على الجدار وعلى العربة بسرعة مشى الرجل الكبير، يعرف كيف يفتح الراديو ويغلقه، وكذلك يستطيع رفع صوت التليفزيون وخفضه وأشياء أخرى، ويدرك أنى سوف أخرج من البيت عندما يرانى أرتدى ملابسى. كذلك يسمع طرق الباب فيأتى إليه على عربته مسرعًا لينظر من الطارق.. السؤال: كيف أستطيع أن أنمى قدراته حتى يستفيد منها؟

وفى حالة حصوله على أى شئ ضار أو نافع ومحاولتى أنا أو أمه أخذه منه فإنه يعبر عن غضبه وانزعاجه بالصراخ أو رمى نفسه على الأرض أو ما شابه ذلك، فما العلاج؟

ولهذا الأب نقول:

حتى تنمى قدرات ابنك، فإنه يجب عليك معرفة طبيعة المرحلة التى يمر بها طفلك، بصورة دائمة ومستمرة لتقف على مدى تطوره، وتعلم أولاً بأول نقاط القوة والضعف فى ابنك.

سأعرض عليك بعض حقائق النمو:

١. كل جوانب النمو لها حد أقصى وحد أدنى، وإذا ما تحدثنا عن طبيعة مرحلة ما فإننا نتحدث فى هذا الحيز، وبالتالى فإن تدخلنا لتنميتها واستثمارها يكون محاولة لنصل بقدرات أبنائنا إلى حدها الأقصى داخل الحيز الممكن. وأعنى بذلك ألا نكون مفرطين فى توقعنا، وألا ندفع الطفل لتعلم ما لم يستعد بعد لتعلمه.

٢. هناك اختلافات فردية بين كل طفل وآخر (داخل المرحلة العمرية الواحدة)، مع اشتراكهم فى سمات نمو واحدة تفرضها طبيعة المرحلة العمرية وهو ما يعرف بالفروق الفردية؛ فلا تكن مرجعيتك فى حكمك على الطفل مقارنته بطفل آخر، وإنما تكون المرجعية بمعرفة طبيعة المرحلة التى يمر بها ابنك ونواحى النمو المختلفة، وكذلك معرفتك بطبيعة طفلك وقدراته.

وسأذكر لك -فى نقاط مختصرة- بعضًا من ملامح طبيعة هذه المرحلة، والتى أهمها التغيرات الكبيرة فى القدرات البدنية والذهنية، ومنها:

- بداية ظهور علامات التذكر والتفكير، مما يدفعك لمزيد من التفاعل مع الطفل.
- يبدأ الطفل فى الوقوف بمفرده والسير مستندًا إلى الحائط.

- يبدأ فى الثرثرة ببعض المقاطع الصوتية، ودورك هنا لفت انتباه طفلك لك، ومحادثته بلغة سليمة مبرزًا حركات الشفاه ومخارج الحروف؛ ليقلدك طفلك شيئًا فشيئًا.
- يصبح لدى الأطفال فى هذه السن تحكم أفضل فى الحركة، فيقلد بعض الحركات، كما يمكنه أن يصل عن عمد لمكان لعبه أو ينقل الأشياء بين يديه الاثنتين، كذلك ضرب المنضدة وغيرها بما يقع فى يديه من أشياء، فضلاً عن قدرته على مسك الأشياء الصغيرة بين إصبعيه.
- ينشغل الطفل فى هذه المرحلة بتنمية إدراكه بعالمه المحيط، ويبدأ الوعى بمفهوم اختفاء الأشياء، ويدرك أن اختفاءها عن مجال نظره لا يعنى اختفاءها تمامًا وعدم وجودها.
- يمكنه أن يقذف الأشياء عن عمد ليتابع ويلاحظ أين تذهب، ويبدأ فى البحث عن لعبته التى اختفت؛ ولهذا فلعبة الاختفاء تنمى قدرات الطفل العقلية وتنمى إدراكه.
- يبدأ الطفل -أحيانًا- بالخوف من الغرباء فى هذه الفترة. كما يتضايق لخروج أمه أو أبيه من حجرته.
- يمكنه الاعتماد على نفسه ليتسلى بعض الوقت بمفرده إذا ما أُعطِى شيئًا ما ليكتشفه، ولكن يبقى التفاعل جزءاً أساسيًّا وحيويًّا من استمتاعه.
- الحركة بالنسبة له مثيرة جدًّا؛ لذا حاول رفعه لأعلى فى الهواء أو أرجحته على الساقين، ولكن تابع رغبته فى ذلك وتوقف مع أول إشارة منه تعبر عن ضيقه وملله.

وبالتالى يمكنك القيام بالأشياء التالية مع طفلك:

- أعطه لعبة واحدة فى كل مرة حتى لا يمل سريعًا.

- أعطه الفرصة لاستخدام ألعابه الجديدة واستكشافها فعلاً.
- دعه يلعب بطريقته، وإن كان ما يفعله هو مجرد وضع اللعبة فى فمه، فقط تأكد من نظافتها.
- كل ما حول الطفل يعتبر ألعابًا له فدعه يستكشف الآمن منها.
- طفلك يستكشف يديك ووجهك وشعرك؛ فسمِّ له هذه الأعضاء واستخدم الإشارة لربط المسمى بالاسم.
- وفِّر لطفلك عددًا مناسبًا من الكتب فى أرجاء البيت، ودعه يستكشف الكتب ذات الغلاف السميك بنفسه، مع توفير وقت مناسب كل يوم لمطالعة الصور الملونة والقراءة له، فالوقت الآن مناسب للتعرف على الكتب والصور.
- الطفل يفهم معنى الكلمات من السياق، فكلمة "لا" العابسة تعنى بوضوح أنه من الأفضل أن يتوقف عما يفعله، وبشاشة الوجه مع كلمة "رائع" تعنى استمر، وهكذا...
- يمكنك تجربة بعض الألعاب وتطويرها بنفسك فقط تذكر أن تقف عند إشارة ابنك التى توحى بذلك.
- يبدأ الطفل باقترابه من العام الأول فى حل المشكلات، ويبدأ فى تعلم أن الاختفاء من حيز الرؤية لا يعنى الاختفاء التام، فلعبة الاختفاء والظهور (الاستغماية) لعبة جيدة لطفلك، خبئ رأسك واسأل طفلك "أين بابا" ودعه ينزع الغطاء ليجدك، ثم ضع الغطاء على رأسه هو، وهكذا... ثم بدّل الغطاء بآخر كبير زيادة فى الاختفاء، ثم اختبئ خلف الكرسى أو الباب أو غير ذلك، واترك جزءاً من جسمك ظاهرا ليدله عليك.. وإذا لم يعرف اخرج له، ثم خبئ وجهك خلف الكتاب وارفع الكتاب واخفضه، ثم لليمين واليسار مع تغيير تعبيرات وجهك فى كل مرة يظهر فيها من خلف الكتاب.

- ضع مجموعة من الوسائد على الأرض لعمل بعض التلال لطفلك ليصعد عليها أو ليحبو حولها، ضع واحدة أو اثنتين فى مواجهة الكنبة، ودع ابنك يقفز عليها وساعده لينزل على بطنه أو يخطو أولى خطواته لينزل على قدميه.
- أجلس طفلك على المنضدة، وابدأ فى الطرق على المنضدة، ومع التوقف ارفع يديك لأعلى.. لن تستغرق وقتاً طويلاً حتى ترى طفلك يقلدك، نوِّع الطرق من حيث شدته وسرعته، ثم ابدأ فى الطرق الملحن.
- اصنع بعض الكرات من الجوارب القديمة بإدخالهم بعضهم فى بعض، والغرض أن تكون كرات سهلة المسك وكذلك فى حجم اليد، ولا تنزلق من يد طفلك الصغير، وشارك ابنك فى قذفها فى سلة، وحرك السلة بعيدًا لمزيد من التحدى، وتبادلا قذف الكرة والإمساك بها.
- ساعد طفلك ليصب الماء فى الأكواب البلاستيكية ويفرغ من كوب لآخر.
- يمكنك استخدام مصفاة المكرونة لتعطى ابنك الدرس الأول فى الصيد.. وحاولا اصطياد الألعاب البلاستيكية من حوض الاستحمام.
- ميّز نبرات صوتك تبعًا لحالتك المزاجية أو تبعًا للموقف الذى تمر به ليميز التعبيرات والأحاسيس المختلفة.
- عرضه للموسيقى.. فهناك حقيقة علمية تؤكد أن الأطفال الذين يتعرضون للموسيقى فى وقت مبكر تكون لديهم قدرة رياضية جيدة، وأنشد (غنى) له دائمًا.
- تحدث إلى طفلك كثيرًا كثيرًا كثيرًا..
- اصطحب طفلك وكأنك "معلق رياضى" اشرح له كل ما تقوم به، ما الذى يحدث، وماذا سيحدث، ماذا تصنع، لماذا، كيف...

- اقرأ لطفلك حتى ولو بدا لك أنه لا يفهمك.. لا يهم، المهم أن تقرأ له... فطفلك يمتص الموسيقى التى فى اللغة، خاصة إذا اخترت الكتب التى تعتمد على السجع والموسيقى اللغوية كالبدايات الواحدة والنهايات الواحدة (التشابه/ الجرس)، وهكذا...
- ارفق وقت القراءة بخبرة ممتعة، سيحب طفلك هذا الوقت الدافئ معك وستصبح هذه الخبرة الممتعة أساسًا هامًّا فى تكوين عادة القراءة لديه.

أما عن وسيلة تعبيره عن غضبه وصراخه فهو أمر طبيعى فى هذه الفترة من العمر، إلا أن عليك اجتناب ما يعرضه للانزعاج، وفّر له جوًّا آمنًا مرحًا ممتلئًا بالخبرات والأنشطة التى لا تترك له فرصة للانزعاج، واعلم أن الأمر لا يخلو مع الصغار من مثل هذه الأمور..

الذكاء ثروة حقيقية

تقول إحدى الأمهات:

أريد أن أسأل عن الألعاب والرسومات التى تنمّى ذكاء وتفكير ابنتى التى تبلغ من العمر سنتين.

ولهذه الأم نقول:

أكد علماء النفس أن الثروة الحقيقية لأى أمة هى ثروة العقول، وأن الأمة الذكية هى التى تحافظ على نفسها من خلال تنمية عقول أبنائها، حتى أنهم فى فنزويلا نظموا برنامجًا طموحًا لإنماء الذكاء على المستوى القومى، لدرجة أنهم

أنشأوا لأول مرة فى تاريخ الإنسانية وزارة عرفت باسم (وزارة تطوير الـذكاء الإنسانى)، وأصبح هناك أول وزير للذكاء !!

وسأوضح لكِ نقاطًا هامة فى هذا الأمر:

- المخ كائن وجدانى ينشطه الشعور بالأمن ويحجمه التوتر والقلق والخـوف؛ لذا علينا الدعم والحب والصبر على الطفل، وتأمين حياة سعيدة هادئة آمنـة حتى يعمل المخ فى بيئة ملائمة.
- ذكاء الطفل يتكون فى هذه المرحلة المبكرة حسيًا وحركيًا، أى ينمـو عـن طريق الحركة والحواس الخمس (السمع - والبصر - واللمس - والـشم - والتذوق)؛ لذا علينا اغتنام كل فرصة تمر بالطفل نستطيع فيها أن نقدم لـه خبرة عن طريق الحواس، كما نوفر له فرصة الحركة بحرية فـى الحـدود الآمنة.
- تنمو الوصلات بين خلايا المخ عن طريق الاستثارة من خلال التجارب التى يمر بها الطفل، لذا علينا استثارة المخ بالألعاب والحديث والكتب...، وكل ما يعطى للطفل خبرة جديدة وتجربة جديدة تستثير عقله.
- بناء العقل وتنمية الذكاء يأتى متوافقًا مع غيره من نـواحى النمـو النفـسى واللغوى والحركى والعضلى، فلا يمكن التركيز على الذكاء بمعـزل عـن نواحى النمو الأخرى.

والآن سأذكر لكِ عددًا من الألعاب والأساليب المفيدة:

أولاً- الحواس:

١ - <u>البصر</u>: أى التمييز البصرى للألوان والأشكال والأحجام، وذلـك عـن طريق تعريض الطفل للألوان المختلفة فى الطبيعة، بدءًا من الخضراوات

فى المطبخ، وانتهاءً بكل ما يمر به فى الشارع، والحديقة، والمنزل، على أن تتزامن هذه الرؤية مع الحديث البسيط للطفل (هذه وردة حمراء – هذا ملح أبيض – هذه شجرة خضراء... وهكذا).

- تساعدك أيضًا الكتب الصغيرة ذات الغلاف السميك التى بها صور للأشياء الملونة، وبالطبع يرافق الكتاب صوت الأم الرقيق الذى ينقل التجربة للطفل.
- استخدمى البطاقات المصورة للتعرف على الأشياء المختلفة، والألوان، والأحجام المختلفة (الكبير – الصغير – المتوسط).
- استعينى ببطاقات عليها صور لأشخاص بتعبيرات وجه مختلفة (فرحان – حزين – مبتسم – غاضب –... إلخ)، وساعدى طفلتك على تمييز التعبير وتسميته؛ لأنه يفيدها فيما بعد فى التعبير عن مشاعرها ووصفها وصفًا سليمًا مما يمكنها من التعامل الأمثل مع هذه المشاعر.

٢ – **السمع**: أى التمييز بين الأصوات المختلفة، ولتنمية هذه الحاسة يمكنك إتباع ما يلى:

- عرّضيها لأصوات مختلفة (سيارات – ماء – ارتطام كرة – زجاج ينكسر – صوت الطيور...).
- يمكنك إحضار عدد من العلب، ووضع أشياء مختلفة فى كل علبة (أرز، رمل، فول، مكرونة...)، وهز العلب على أن تكون علبة واحدة فى كل مرة؛ لتمييز الصوت، ثم تضيفين علبة أخرى، وهكذا حتى يمكنها التمييز بين الأصوات المختلفة.

- افتحى لها صنبور الماء أثناء عملك، والفتى نظرها لتستمع لصوت الماء يتساقط على الزجاج والبلاستيك والمعدن والخشب...، بدرجات شدة مختلفة؛ أى ماء قليل، ثم ماء كثير، وهكذا...
- عرّضى طفلتك لسماع الأناشيد والموسيقى لفترة كل يوم؛ فهذا يساعدها فيما بعد على نمو ذكائها المنطقى الرياضى.
- غنّى لطفلتك أغانى صغيرة ذات سجع فى كلماتها؛ فهى ممتعة جدًا للطفل، وتزيد أيضًا ثروته اللغوية.
- أسمعى ابنتك القرآن الكريم كل يوم، سواء عن طريق قراءتك لها أو عن طريق شرائط الكاسيت..
- وهناك شرائط وأسطوانات CDs مسجل عليها أصوات مختلفة كالحيوانات، والظواهر الطبيعية، كالمطر، والرعد، والرياح، وغيرها... يمكنك الاستعانة بها.

٣ – الشم: أى التعرف على الروائح المختلفة والتمييز بينها، ولتدريبها على ذلك:

- عرّضى طفلتك لروائح مختلفة، وساعديها لتستخدم هذه الحاسة للتعرف على الروائح المختلفة كروائح أنواع الطعام المختلفة، وروائح الزهور، وروائح الأشياء النفّاذة (كالصابون – والمساحيق... وغيرها) ومن الضرورى أن تذكرى لها اسم كل شئ تشم رائحته.

٤ – اللمس:

- عرضى ابنتك لتمييز الملابس المختلفة فى الملمس (ناعم – خشن، ساخن – بارد...).

- دعى صغيرتك تستخدم يديها فى لمس الأشياء (ورق الشجر، والرمل، والخبز، والدقيق، والملح، والماء...)، اسمحى لها بذلك فى كل مناسبة، ورافقى هذه الخبرة الجميلة بدعم من جانبك وشرح بسيط لما تلمس، وساعديها على التمييز بين الملامس المختلفة.
- يمكنك اللعب معها بأن تعصبى عينيها وتجعليها تتحسس بعض الأشياء لتميزها عن طريق التعرف عليها باللمس.

٥ – **التذوق:** عن طريق تعرفها على مذاق الأطعمة المختلفة.

ثانيًا– الحركة:

من المفيد جدًّا لطفلك إتاحة الفرصة للحركة الحرة فى الهواء الطلق أو فى مكان مجهز فى المنزل، ولا يحتاج ذلك لأكثر من تأمينه من الأشياء ذات الحواف الحادة، والتى تمثل خطرًا عليه، وربما تركتِ لطفلتك شيئًا لتقفز عليه مثل الوسائد أو المراتب الإسفنجية، ويمكنك أن توفّرى لها عددًا من الألعاب البسيطة إذا اتسع المنزل لها كأرجوحة صغيرة، وميزان، وزلاقة، وسلم للصعود والهبوط وغيرها من الألعاب الممتعة، وهناك الحركة المنظمة وفق صوت أو إشارة أو غير ذلك. فالطفل بوجه عام يحتاج إلى الحركة والخروج فى أماكن واسعة فسيحة للعب بالكرة والجرى والتسابق وغيرها من الألعاب الممتعة له.

وهناك ألعاب لتنمية العضلات الكبيرة والدقيقة:

١– العضلات الكبيرة:

- مثل الأرجوحة، والأطواق، والإطارات، والكاوتشوك، والتزحلق، والعجلات، والكرة، والحبال، والرمل... وغير ذلك، وألعاب الاتزان والتماثل والمتاهات.

٢- العضلات الدقيقة:

- مثل المكعبات بأشكالها وأنواعها المختلفة على أن تكون كبيرة الحجم لتناسب عمر طفلتك، ثم التدرج من حيث الحجم والصعوبة، ولا تضغطى على طفلتك بما هو فوق طاقتها، بل دعيها تجرب وتحاول، وقدّمى إليها البسيط من الألعاب، ثم تدرّجى حتى لا تصاب بالإحباط، وربما استطاعت فى هذا العمر أن تركب مكعبين فقط أو ثلاثة، ساعديها على ذلك، ولا تطلبى منها أن تقلّد نموذجًا ما؛ فالمفيد فى الأمر هو خطوات التركيب وليس المنتج النهائى، ضعى متعة طفلتك فى الاعتبار الأول وليس الإفادة؛ فمع المتعة تأتى الإفادة وليس العكس.
- وهناك لعب الأشكال الهندسية التى توضع فى فراغات مخصصة لها، حاولى واستطلعى قدرة طفلتك على استخدام هذه اللعبة، وابدئى بشكل الدائرة؛ لأنه أسهل شكل تتعامل معه طفلتك.
- يمكنك أن تقدمى لها لعبة الأشكال المجزأة (البازل) ذات القطع الكبيرة، وربما كانت البداية أن تطلبى منها وضع قطعة واحدة فى مكانها، ثم قطعتين، وهكذا...، ولكن بعد أن تتأكدى من تمييزها للشكل أولاً، فالطفل يتم عمل البازل وفق اللون أو تحديدات الحواف أو شكل القطعة وعلاقتها بالقطعة المجاورة، وربما كان لديها تقنية أخرى فاكتشفى ذلك، ولا تفرضى عليها طريقة للعمل بل ساعديها إن رغبت فى مساعدتك.
- وكذلك الصلصال بألوانه المختلفة من الأشياء التى تنمى العضلات الدقيقة لدى الطفل، فاحرصى على توفيرها لطفلك.

- أيضًا الخرز وغيره من ألعاب اللضم والتجميع (وراعى الحجم الكبير والتدرج بخرزة واحدة، ثم اثنتين، وهكذا...).
- الألوان بكل أنواعها.
- الأقلام والأوراق.
- ألعاب الفك والتركيب.
- القص واللصق.

ولعلها فرصة لتتركى لابنتك الفرصة للقيام بما تبدى استعدادها لعمله بنفسها؛ فهذا ينفعها كثيرًا فى بناء الثقة بالنفس وبناء مهارات مختلفة لديها.

ثالثًا- النمو العقلى:

- حاولى بناء مفردات لغوية كثيرة لدى ابنتك وهى فى هذا العمر؛ فاللغة تساعد فى نمو القدرات العقلية بشكل عام، ويمكنك عمل ذلك عن طريق الحديث المستمر معها، وطرح الأسئلة، والكتب المصورة، كذلك اقرئى لها حكايات بسيطة كثيرة، وأشركيها فى خبراتك اليومية، واشرحى لها ما تفعلين، ولماذا تفعلين، وكيف تفعلين...
- دعيها تستمع لمحادثات الكبار حولها خاصة أنت ووالدها.
- الفتى انتباهها لكل خبرة جديدة يمكنها الاستفادة منها فى تنمية ذكائها.
- اتركى لها بعض الألعاب والعرائس لتلعب معها وبها.

وخلاصة الأمر أن كل ما تمر به طفلتك يعتبر فرصة جيدة لتتعلم شيئًا جديدًا ينمى مهارتها، فكل شئ قابل للتعلم والتطور حتى الذكاء.

التعامل مع الطفل المبدع

يقول أحد الآباء:

ابنى يبلغ من العمر تسع سنوات، يهوى الرسم، بل إنه بالفعل مبدع فى هذا المجال، كيف يمكن لى كأب أن أنمى موهبته، خاصة أن النوادى والمكتبات والمدارس لا تقوم بمثل هذا الدور... ماذا أفعل؟

ولهذا الأب نقول:

إن "الإبداع والابتكار" ليسا من فضول الاهتمامات أو توافهها، بل إنهما من أعظم الأمور التى يمكن أن تؤثر على تقدم مجتمع أو تخلفه فى المستقبل.

وهناك دراسات حديثة تناولت هذا الموضوع تندرج كلها تحت ما يعرف الآن "بالتربية الإبداعية"، أثبتت أن الأسرة هى المدرسة الأولى لتنمية الإبداع والموهبة، وهناك فنون لابد للآباء والأمهات أن يتعلموها حتى يتمكنوا من تنمية موهبة طفلهم ويفجروا طاقاته الابتكارية والإبداعية.

وإليك أيها الأب الفاضل ما يمكن أن نسميه مجازًا دليل التعامل مع الابن المبدع:

(١) ضرورة احترام هذا المبدع الصغير، احترام أفكاره، وآرائه، وخياله، وأحلامه، وبصورة إجمالية احترام شخصيته، والبعد كل البعد عن التهكم والتحقير من شأنه أو من هواياته وإبداعاته؛ لأن ذلك يؤدى حتمًا إلى "قتل القدرات الابتكارية".

(٢) تهيئة المناخ المناسب لإطلاق هذه الطاقات، وهذا المناخ يقتضى:

- تلبية احتياجات الطفل من أدوات ووسائل، بشراء علبة ألوان قيمة أو CD خاصة بالرسم مثلاً.
- إزاحة كافة العوائق التى قد تعوق تقدم الصغير من مشاكل أو هموم أو ضغوط نفسية، وذلك بحل مشكلاته الدراسية أو مشكلاته الاجتماعية؛ حتى "يتفرغ" لموهبته وإبداعه.
- منحه "الحرية" فى التعبير عن موهبته وقتما شاء وكيفما شاء، طالما ظل ذلك فى حدود المقبول شرعًا وعرفًا.

وهنا ينصح التربويون بعدم تحديد أوقات معينة لإطلاق الطاقة الإبداعية كالرسم والاستغراق فيه، بل ترك هذا الأمر للصغير، يرسم وقتما شاء.

أما مشكلة الدراسة وأعباءها فهذا يمكن أن يستغرق وقتًا أقل إن منحنا الفرصة للإبداع أن ينمو، فالرسم مثلاً ينمى الذكاء ويساعد على تشغيل العقل وينمى القدرة التعبيرية وكلها أدوات يحتاجها الصغير فى دراسته، ومنحه الحرية يعنى البعد كل البعد عن التحكم فى اتجاهاته الإبداعية وعدم فرض وصاية على طريقة الرسم مثلاً أو اختيار الألوان.

- تهيئة بيئة تملؤها "المثيرات" التى تثير وتحفز رغبة الطفل للتعبير عما بداخله بطريقته الإبداعية الخاصة، مثال: كتب تعليم الرسم، أو بعض الصور الفوتوغرافية، زيارة المعارض والمتاحف، أو الاشتراك فى المجلات التى قد يستوحى منها الشخصيات التى يرسمها، أو برامج الكمبيوتر المتنوعة.... أو غير ذلك.
- لا بد أن يكون للأب اهتمامات فى نفس مجال الابن المبدع، وإن لم يكن له مثل هذا الاهتمام فليحاول على الأقل الاستزادة من بعض المعلومات الخاصة بمجال إبداع الابن، ويكون ذلك عن طريق القراءة، أو حضور

الندوات واللقاءات التربوية التى تعنى بتنمية إبداعات الصغار.. وترجع أهمية ذلك إلى ضرورة إحساس الابن بأن والده يدعمه ويسانده ويرعاه فى هذا المجال، أما إحساس "الغربة" وعدم تقدير الآخرين لإبداعاته فلها أثرها السيئ، يُمكن للأب مثلاً أن يوطد علاقته مع ابنه بالفكاهة أو الدعابة، أو المشاركة فى الأنشطة الثقافية العامة والمتخصصة فى مجال إبداعه بصفة خاصة.. كل ذلك يشعره بالأمان والحب والود والتشجيع، ولا نغفل هنا أهمية الإنصات إلى خيالاته وأحلامه وأرائه وإثارة قدراته ومواهبه عن طريق أسئلة أو مسابقات أو أعمال فنية تنمى هذه الموهبة وتوجّهها، فمثلاً إذا وجدنا الطفل قد استفزته مناظر القتل والدمار فى فلسطين نطلب منه رسم لوحة بعنوان "فلسطين والطريق نحو الانتصار"، وهكذا.

غرس الأخلاق بالقدوة

يقول أحد الآباء:

لدى ابنة وحيدة عمرها ثمانية أشهر، وقد سمعت أن أول سبع سنوات من عمر الطفل هى أهم فترة يتم فيها إكساب الطفل المبادئ والقيم والأخلاق الحميدة، وأتساءل: كيف أعلِّم ابنتى القيم والأخلاق والمبادئ الإسلامية وعمرها ثمانية أشهر؟

ولهذا الأب نقول:

أبدأ ردى على سؤالك بالقول المشهور "ما من مجتمع راق استطاع أن يصل إلى تحقيق المثل العليا إلا اشتركت فى تحقيقه ورفع صرحه أم عظيمة"، ويقول أحد المفكرين: "أم صالحة خير من مائة أستاذ"، ولعل تلك الكلمات تمهد

الطريق أمامى لأوجز إجابتى على سؤالك فى جملتين لتتعلم أن تعليم طفلتك قواعد السلوك الطيب والقيم والأخلاق الإسلامية يتم من خلال العلاقة الدافئة بين الطفلة وأسرتها، والحب غير المشروط الذى يُمنَح للطفلة خاصة من أمها.

لقد أصبت يا أخى حين أكدت على أن أهم سنوات فى حياة الطفل هى سنواته السبع الأولى التى يبنى فيها أساس هذا الصرح الإنسانى الذى يكتمل بناؤه بعد ذلك بحسب قوة أساسه الذى تأسس فى تلك السنوات السبع، ولعل هذا هو ما أكد الحديث النبوى على سبل استثماره من خلال الملاعبة، ولو تأملت الحديث معى لوجدت الأمر من النبى -صلى الله عليه وسلم- بأن يلاعب المربى ابنه -أى يلعب معه- وليس أن يتركه يلعب فحسب، ففى الملاعبة تقوية لأواصر الحب والمودة والحنان والصداقة، وسبيل لتشرب الطفل الصفات الأساسية وأخلاق من يلاعبه من خلال العشرة الطيبة فى لحظات اللعب المرحة المثمرة.

ومما لا شك فيه أن الطفل من سن ثمانية شهور وربما أقل يكون لديه ما يشبه الرادار الذى يلتقط ما حوله من مشاعر وانفعالات ويحسها ويتجاوب معها حتى قبل أن ينضج عقله، وهو ما يظهر فى نظرات عينيه لمن حوله والتى تنطق عنه قبل لسانه؛ إذن فدوركما أنت وزوجتك هو توطين المحبة فى بيتكما، وغمر طفلتكما بها وبالحنان والرفق، وبذلك تمهدان الطريق لتتلقى كل توجيهاتكما؛ فالمحب لمن يحب مطيع، وكذلك فان إشعار الطفلة بكونها مرغوبة ومحبوبة وأن من حولها يسعون لإسعادها يجعلها تبادلهم نفس الشعور.

ويبقى أمر مهم فى مسألة تربية الطفلة على الخلق القويم ألا وهو القدوة، فعندما يكون الوالدان نموذجا للأخلاق من الحلم والعفو والتعاملات الطيبة مع الناس، فلا شك أن هذه الأخلاقيات والسلوكيات ستنطبع على الطفلة بشكل أو بآخر، كما أن حبها لكما سيدفعها لتقليد من تحبهم.

ولا شك أن الإنترنت حافلة بمقالات ومواقع وكتب عن التربيـــة يمكـــن أن تفيدك فى مزيد من الأفكار والتفاصيل والتطبيقات للوصول إلى ما تريد.

الممنوع والمسموح فى النقاش مع الطفل

تقول إحدى الأمهات:

أنا أم لخمسة أبناء (ثلاث بنات وولدان)، البنتان الكبيرتان فى سن السادسة عشر والثامنة عشر، ويليهما ابن يبلغ من العمر خمس عشرة سنة، أعانى مـــن عدم احترامهم لى وعدم سماعهم لكلامى بما فيه الكفاية، وألاحظ أن كلمة زوجى يسمعونها فورًا، أما أنا فبنقاش وجدال، وقد ظننت أن طريقة الحـــوار والنقـــاش أفضل من توجيه الأوامر الصارمة، ولكن يبدو أننى أخطأت، حتى أن زوجـــى يقول لى: "لماذا تجادلينهم؟ اقطعى الجدال وأعطيهم أمرًا"، وهذا نادرًا ما أفعلـــه، لا أدرى لماذا؟ ربما لأننى لا أحب أن يشعر أحدهم أنه مظلوم ولا يفهم طلبـــى وأمرى له، ولماذا هو وليس غيره من الإخوة، وهكذا..

والآن أتساءل: كيف أجعلهم يحترموننى بدرجة أكبر؟ أريدهم أن يـــشعروا بى؛ لأنى أتعب بالمنزل، وإن قلت هذا أمام البنت الثانية فدائما جوابها أننـــى أم، وهذا دور الأم، وأنها سوف تطبخ فى المستقبل عندما تكون أمًّا مثلى.

أنا أعانى من أجوبتها؛ لأنها منفعلة وتغضب بسرعة، والجواب على لسانها كما نقول بالعامية، وكثيرًا ما أطلب منها أن تحترمنى ولا تكلمنى مثلمـــا تكلـــم أختها أو صديقتها، حتى عندما نتحدث بهدوء توجه اللوم لى وتقول إننى أنا التى صرخت ورفعت صوتى من البداية، ومهما طلبت منها أن تفعل تجيب بـــصراخ وعصبية أنها متعبة ومشغولة، ولكن لو صادف وقتها أن طلبت صـــديقة منهـــا

مرافقتها لأى مكان ولو كان بعيدًا فإنها تذهب على الفور، فهل أنا فشلت فى تربيتهم؟

ولهذه الأم نقول:

أبدأ معك سيدتى بالرد على سؤالك الأخير: "هل أنا فشلت فى تربيتهم؟" كلا لم تفشلى، ولكنك مثل كل الأمهات بل مثل كل البشر يخطئون ويصيبون، يتعثرون ويقومون، ولم يفت الوقت بعد، وكما يقول المثل: "أن تصل متأخرًا خير لك من ألا تصل أبدًا"، ولكن الأمر يحتاج إلى مزيد من الصبر والمثابرة والوقت والجهد وهذا ليس بالأمر المستحيل.

تعالِ نبدأ ونحدد معًا المشكلة، يتبلور هذا التحديد فى أمرين أساسيين، ألا وهما:

- اللبس الذى حدث فى فكرتك عن أسلوب الحوار والنقاش مع أبنائك.
- فهمك لطبيعة المرحلة التى يمر بها أبناؤك، وهى مرحلة المراهقة.

ولنبدأ بالأمر الأول؛ فقد فهمتِ -سيدتى- أن التربية تقوم على الحوار والنقاش بينك وبين أبنائك وإقناعهم بكل أمر أو طلب تطلبينه منهم، وهنا بالتحديد كان الخطأ أو اللبس، فليس معنى أن العلاقة بين الوالدين من ناحية والأبناء من ناحية أخرى تقوم على الحوار ألا يكون هناك حزم فى التعامل، وألا تكون هناك ثوابت وخطوط حمراء ينبغى للأبناء عدم تجاوزها، فالحوار والنقاش لا يمنعان الحزم فى الأمر كله، فلا يصح مثلا أن تناقشيهم فيما إذا كان من حقهم أن يصلوا أو لا يصلوا، ولكن من حقهم أن يفهموا من خلال الحوار بعض الحِكَم التى من أجلها شرعت الصلاة، وليس من حقهم أن يبّروك أو لا، ولكن من حقهم أحيانًا أن يعترضوا على بعض أوامرك لكن بمنتهى الأدب والاحترام،

ولا يحدث هذا إلا من خلال أسلوب تربوى يجمع بين الحب والحزم؛ فلا ينفع طغيان الحب على حساب الحزم، كما لا يصح العكس.

وهناك تجربة قامت بها إحدى المدارس فى المرحلة الثانوية، حيث وزعت استطلاع رأى على طلابها عن اثنين من معلميها لمادة من المواد؛ أحدهما متمكن من مادته ويغلب على أسلوبه مع طلابه الحب واللين فى المعاملة، والآخر مستواه جيد فى مادته لكنه أقل تمكنًا من المعلم الأول، ولكنه يتميز بالحزم فى معاملته، وفى منتهى الدهشة من إدارة المدرسة تظهر نتيجة هذا الاستطلاع لصالح المعلم الحازم رغم تفوق الآخر عليه فى تمكنه من مادته العلمية.

وهذا بالضبط ما يحتاجه أطفالنا، لا أعنى بالحزم الصرامة والغلظة والقسوة، بل أعنى أمرًا آخر سوف يتضح بعد أن نوضح النقطة الثانية من المشكلة، ألا وهى طبيعة المرحلة العمرية التى يمر بها أبناؤك، لا بد أن تدركى يا سيدتى أن ثلاثة من أبنائك يمرون بمرحلة المراهقة، وهى مرحلة لها سماتها وتغيراتها الجسمية والانفعالية والاجتماعية والعقلية، وهى سمات لابد من التعرف عليها حتى تتمكنى من التعامل مع هذه المرحلة، عليكِ بالاطلاع على أهم خصائص هذه المرحلة من خلال كتب علم النفس، وهى متوفرة بجميع المكتبات التربوية، ولكن المهم هنا أن نفهم النمو الانفعالى لدى الأبناء فى هذه المرحلة، حيث يمر المراهق فى المجتمعات المدنية بصراعات نفسية؛ وذلك بسبب رغبته فى الاستقلال عن والديه وعمن يمثل السلطة بشكل عام (كالمدرسين والإدارة المدرسية، والمدربين بالنادى... إلخ)، وتتمثل هذه الصراعات فى:

- رغبة المراهق فى الاستقلال، وهو فى الوقت نفسه ما زال يعتمد على والديه.

- لديه دوافع جنسية يطلب إشباعها، لكن الدين والعرف والمجتمع يحول دون ذلك.
- الرغبة فى الانطلاق والحرية، ونظم المجتمع تمنع هذا.

وهذا النمو الانفعالى يتسم بعدة سمات، أهمها:

- التعبير عن الغضب بحدة وثورة شديدة.
- الغضب كالطفل بسرعة شديدة، ولأسباب قد تبدو تافهة.
- الحساسية المفرطة، فهو يخشى التواجد فى اجتماعات ومناسبات اجتماعية، ويشعر بأنه محط أنظار وتعليقات الجميع، لذا نجد أن كثيرًا من المراهقين يشعرون بالأمن والراحة بالتواجد أطول فترة ممكنة مع من هم فى مثل سنهم وليس مع الكبار.
- المراهق دائمًا يشعر بالذنب؛ لأنه يرسم لنفسه صورة مثالية لا يستطيع الوصول إليها، وبالتالى فهو يحاسب نفسه كثيرًا على هذه الأخطاء، ليس الأخطاء السلوكية فحسب، بل كل ما يراوده من أفكار وهفوات، وهذا أيضًا يجعله أكثر حدة وعصبية.
- يشعر المراهق دائما أن من حوله لا يقدِّرونه ولا يحترمون رغباته؛ وهو ما يزيد من شعوره بالغربة والإحباط.
- ومن أسباب الصراع لدى المراهق أحيانا عدم التوازن بين الجوانب المختلفة للنمو، فالنمو الجسمى يسبق النمو العقلى، ومن هنا يبدو المراهق فى حجم كبير؛ الأمر الذى يترتب عليه أن يتعامل معه الجميع على أنه أصبح راشدًا، مع أنه لم ينضج بعد، ويتوقعون منه ما لا يستطيع القيام به، ويوقعون عليه كثيرًا من اللوم لأخطائه التى تبدو

طفولية، ولا تتناسب مع حجمه... كل هذه الأسباب وغيرها تسبب ما يشبه الأزمة عند المراهقين.

والآن بعد أن حددنا المشكلة تعالى نتناول معًا الأسلوب الذى تتعاملين به مع أبنائك، أو بمعنى آخر الخطوات العملية، بناءً على ما سبق من معلومات:

١. عليك أن تتحدثى مع زوجك وتخبريه بأنك سوف تقومين بتغيير فى أسلوب تعاملك مع أبنائك، وأنك قد علمتِ أن الحزم مطلوب إلى جانب الحب والحوار والنقاش، لكن لكلٍّ مكانه ومواقفه، وعليه أن يساعدك فى ذلك.

٢. عليكما بالاجتماع مع أبنائكما، وأن توضحا لهم أنكم جميعًا أسرة واحدة، وأن مسئولية البيت وأعماله ليست مسئولية تقع كلها على فرد واحد، وأن الجميع لابد وأن يشارك فى هذا، وبالتالى فلابد من تقسيم المهام المنزلية بينكم جميعًا، وهنا لابد من تحديد مسئولية كل فرد فى لوحة كبيرة تعلق على الحائط فى مكان يراه الجميع، وأن تكون هناك مسئوليات ثابتة لكل فرد؛ كأن يقوم بترتيب سريره والحجرة التى ينام فيها، ولابد أن يكون له أيضًا مهمة إضافية أخرى، فعلى البنات المساعدة فى تنظيف البيت والطهى، وعلى الأولاد شراء ما يلزم البيت من الخارج، ومهمة كى الملابس مثلاً.. وهكذا.

٣. لا تستجدى العطف والاحترام من أبنائك، فلا تذكرى لهم -على سبيل المثال- أنك تتعبين كثيرًا من أجلهم فى أعمال المنزل، وأنهم لا يقدِّرون هذا التعب، ولكن البديل عن هذه الشكوى وهذا الاستعطاف هو ما ذكرته لكِ سابقًا من تحديد مسئولية كل فرد فى البيت، كذلك لا تطلبى من أبنائك احترامك بشكل مباشر، فهذا يجرئ أبناءك عليك أكثر من قبل.

٤. عليك ألا تلعبى دور الضحية والأم المغلوبة على أمرها قليلة الحيلة، فهذا يستفز أبناءك ويجعلهم أكثر انفعالاً عليك، وكذلك أكثر جرأة، لذا لا بد أن تظهرى بمظهر الواثق من نفسه المعتد بآرائه.

٥. انتهزى فرصة أن أحد الأبناء قد تحدث إليكِ بطريقة غير لائقة، وأعلنى بصوت حازم حاسم (غير صارخ) قائلة: (ربما تكون غاضبًا أو منفعلاً، ولكن هذا لا يعنى أن تصرخ أو تنفعل بهذا الأسلوب، وأنا لن أسمح بمثل هذا التصرف مرة أخرى، وعليك أن تخبرنى بما أغضبك حينما تهدأ)، واتركيه يفكر فيما قلتِه له، فإن تكرر هذا الأسلوب أعرضى عمن يصدر منه هذا التصرف، واطلبى منه ألا يتحدث معكِ حتى يعرف كيف يتعامل مع أمه.

٦. ما سبق لا يعنى أنك تعلنين الحرب على أبنائك؛ بل عليهم أن يدركوا أنهم كلما أحسنوا إليك كلما كنتِ أكثر لطفًا وتفهمًا، ولا بد أن يعرف كل منهم حدوده.

٧. لا تخشى أن تتحول طريقتك إلى خشونة وجفوة بينك وبين أبنائك، ربما يحدث هذا فى بادئ الأمر لأنهم لم يعتادوا منك على هذا الأسلوب، لكن فى الوقت نفسه عليكِ أن تُشعِرى أبناءك بأنك تهتمين بما يهتمون به، وأن جسور المحبة بينكم موصولة فى إطار الاحترام المتبادل بينكم، وافتحى معهم مجالاً للحوار والمناقشة فى الأمور التى تسمح بهذا؛ كأن تشاهدوا معا برنامجًا أو فيلمًا أو مسلسلاً، وافتحى مجالاً للنقاش فى أهم أحداثه وأهم الشخصيات التى لعبت دورها بإتقان والتى لم تتقن، وأسباب نجاح أو فشل هذا العمل الفنى من وجهة نظرهم، ويفضل أن يشارككم الأب فى ذلك، واجعلى ذلك تقليدًا جديدًا فى البيت، أى أن تجتمع الأسرة لمناقشة موضوعات عامة تهم المجتمع أو الأسرة أو أحد أفراد الأسرة.

٨. عليك بالنسبة لابنتيك (١٦ – ١٨ سنة) أن تشعريهما باهتمامك بأمورهما، خاصة من الناحية الأنثوية، وأن تتحدثى معهما فى الموضوعات التى تهم الفتيات فى مثل هذه السن، ولكن احذرى أن يحدث ذلك عن طريق استجواب أو "محايلة" منكِ لكى يتحدثا معكِ؛ بل كل ما عليكِ أن تكونى على استعداد لتسمعيهما، وتحتوى مشاعرهما، وتقدريهما حينما يرغبان فى الحديث معكِ دون إلحاح منكِ.

سيدتى، ما زال لديكِ طفلان دون سن الخامسة عشر، عليكِ أن تتداركى الأمر معهم بتعويدهم على هذا الأسلوب الجديد؛ أسلوب الحب الحازم.

هذه الطريقة الحازمة لن تتمكنى منها بين يوم وليلة، خاصة أن هذا الأسلوب يصطدم قليلاً مع طبيعتك السمحة الودودة، وبالتالى يمكنك تعلُّمها والتدرب عليها، وسوف تمتلكينها وتتقنينها يومًا ما بالصبر والمثابرة، وبملاحظتك لأداء زوجك حينما يتعامل مع أبنائكما.

مفهوم الموت عند الطفل

تقول إحدى السيدات:

جاءنى يومًا ابن أخى يسألنى عن الموت ورقد أمامى وقال: "هل يموت المرء هكذا؟ أى أن يكون غير قادر على الحركة والقيام وعمل أى شئ؟" فأردت أن أكون صادقة معه فقلت: نعم، فقال: ماذا يحدث بعد ذلك؟ فقلت: يُدفَن المرء فى القبر ويوضع عليه التراب، فقال: يغطى تمامًا؟ فقلت: نعم، فقال: أنا لا تدفنونى، لا أريد أن أدفن، اتركونى فى المنزل، فقلت له: لابد أن يُدفَن كل إنسان، فقال: إن دفنتمونى فاتركوا وجهى مكشوفًا كى أرى العالم، فقلت له: لا يجوز ذلك، فقال: لا أريد أن أموت.

ثم ذهب لأمه بعد فترة زمنية وقال لها: أريد أن أموت، متى أموت؟ فلامتنى أمه، وشعرتُ أننى قد أخطأت، ولكننى أردت أن أكون صادقة مع الطفل، فلا يجوز الكذب عليه، والآن أخاف أن يصاب الطفل بعقدة، أو أن يصاب باكتئاب على المدى الطويل، فأخبرته عن الجنة وجمالها، ولكنى ما أزال أشعر أن هناك شيئًا خطأً غير قابل للتصحيح... فما العمل؟؟!

ولهذه السيدة نقول:

إن التصرف السليم فى هذه الحالة هو أن نحاول أن نوصل للطفل بطريقة هادئة حقيقة معنى الموت مستندًا على قصة الخلق والبعث والجزاء بما يتناسب مع عمره، ولابد أن يكون ذلك فى جو هادئ لطيف غير مفتعل، وأفضل السبل هو أسلوب القصة، وعبر السطور التالية سأحاول اقتراح كيفية القيام بذلك.

قومى بجمع مجموعة من الأطفال فى سن ابن أخيك، سواء من الأصدقاء أو من أبناء الأقارب أو الجيران، ومعهم شخص كبير متمكن من قصّ القصص على الأطفال، وكونى معهم بصفتك مستمعة ليحكى لهم قصة خلق الإنسان على النحو التالى:

- إن الله خلق الأرض ولم يكن عليها بشر، وأراد الله سبحانه أن يُعمِّر الأرض، فجاء بالطمى (الطين) وصنع منه هيكلاً أو جسدًا على هيئة الإنسان ثم نفخ الله سبحانه فى الجسد من روحه فتحول الجسد إلى إنسان (هو آدم عليه السلام)، ودخلت فيه الروح التى جعلته يتحرك ويأكل ويشرب ويعيش كما نحن الآن.
- هل فهمتم الآن ما هى الروح أيها الأطفال؟ إنها الشئ الذى بداخلنا ويجعلنا نستطيع أن نحس ونحب ونتضايق ونغضب، وكل إحساس

نحس به يأتى من تلك الروح، وإن لم تكن بداخلنا تلك الروح فلن نتمكن من الإحساس بأى شئ وسنصبح مجرد دمى وعرائس لعبة.. أيها الأطفال هل تعرفون العروسة؟ هل تغضب أو تتضايق أو تصرخ إن أنتم ضربتموها أو صرختم فيها؟

- هل تعلمون أن الروح التى بداخلنا تحب أن ترجع مرة ثانية إلى السماء وسط الملائكة؟ ومن أجل هذا لا بد أن نعمل الخير ونتجنب الشر، نفعل الخير فى كل شئ فى دراستنا وفى علاقتنا بالآخرين.
- هذه الروح لتعود مرة ثانية إلى السماء، وتحيا فى الجنة -ذلك العالم الجميل-، لا يمكن أن يحدث ذلك إلا بعمل الصالحات لتفرح هذه الروح بعد الموت.
- الروح الصالحة بعد الموت لا تتألم ولا تحس بأى شئ يحدث للجسم، وتبقى فرحة جدًا لأنها راجعة إلى أصدقائها الصالحين، والجسم لا يشعر بأى سوء أو ألم نشعر به على الأرض، تمامًا كما تشاهدون فى أفلام الكرتون الإنسان الآلى الذى يحارب الشر ليحقق الخير، عندما يدخل فى هيكله أى شئ فلا يشعر بأى مشاعر سيئة، بدليل أنه يمكن أن ينكسر ويصلح مرة ثانية.. والآن سأسألكم يا أولاد ما الذى فهمتموه؟؟

وبهذا توصلين لهم حكاية الموت والحياة فى الجنة وما يتطلبه العيش فى الجنة بطريقة هادئة تبعث على حب الآخرة والعمل على مصاحبة الصالحين بعيدًا عن التخويف وحكايات النار أو ما يرعب الأطفال ولا تتحمله مخيلتهم من معايشة الظلمة والوحشة فى القبر.. ومع تقدم عمر الطفل ستزداد خبرته ومعرفته بالموت والدار الآخرة.. فلا تقلقى..

الموت.. كيف نشرحه لأطفالنا؟

تقول إحدى السيدات:

ابنة أختى تبلغ من العمر ست سنوات، مات جدها الذى كانت تحبه وتسكن بقربه، وكان مريضًا بالمستشفى، وتُوفِّى هناك، ثم نقلوا جثمانه للبيت لتغسيله.

وهنا اتضح أن البنت كانت موجودة بالمنزل ثم أخرجوها، بعد ذلك رسمت رسمة غريبة.. عبارة عن بنت تبكى سمتها هند -على اسمها هى-، ورسمت بأسفل الصفحة سريرًا كبيرًا وكتبت عليه اسم والدها. أرجوكم انصحونى.. كيف أشرح الموت للأطفال؟

ولهذه السيدة نقول:

إن الطفل الصغير فى مرحلة ما قبل المدرسة، ورغم تعرضه لمفهوم الموت أو بمعنى أدق لموت أحد من الأحياء من حوله، سواء كانوا بشرًا أو قططًا أو عصافير، رغم تعرضه خلال سنوات حياته تلك لرؤية كائن كان حيًّا ثم مات، رغم ذلك فإن مفهوم الطفل للموت لا يكون واضحًا أو مكتملاً ويتباين أشد التباين بين طفل وآخر.

فحسب نتائج الدراسات النفسية يتسم تفكير الطفل فى سن ما قبل المدرسة بالتمركز حول الذات، وبالتفكير السحرى، وبالاعتقاد فى حيوية المادة، وبعدم دقة الإحساس بالوقت، وكذلك عدم دقة فهم أو توقع السببية فى حدوث الأشياء؛ ولذلك فإن قدرة الطفل على فهم الموت أو تصور الطفل للموت فى مثل هذه المرحلة قد يكون أمرًا يحدث تدريجيًّا، أو أنه غير مكتمل الحدوث، أو أنه نوع من أنواع العقاب، أو ربما يرى الموت حدثًا قابلاً للعكس أى عودة الميت للحياة،

وربما فكّر بعض الأطفال في هذه المرحلة العمرية أن موت قريب أو حبيب يكون بسبب أفكار الفرد أو أفعاله الشخصية.

بينما يكون ذلك قبل المدرسة، نجد في أطفال سنوات المدرسة الأولى أن التمركز حول الذات والتفكير السحري والاعتقاد بحيوية المادة كطرق تفكير جبرية في السنوات السابقة تصبح أقل سيطرة على التفكير، وتتحسن دقة الإحساس بالوقت كما تتحسن القدرة على فهم السببية في حدوث الأشياء، ورغم وجود فروق معرفية كبيرة واختلافات واسعة في النمو النفسي والاجتماعي بين مختلف الأطفال في تلك المرحلة وما يليها وصولاً إلى المراهقة، رغم ذلك كله فإن طفل العاشرة غالبًا ما يستطيع فهم الموت كظاهرة تتغير تغيرًا دائماً نهائياً شاملاً، ويفهم كيف يتطور مفهوم توقف الوظائف ومفهوم السببية.

أما كيف نساعد الطفل قبل سن التاسعة -مثلما هو الحال مع ابنة أختك- على فهم معنى الموت، فإننا نستطيع أن نختزل الزوايا التي ينظر منها الطفل إلى الموت إلى اثنتين:

- إحداهما **الزاوية المعرفية العقلية**؛ إذ يتساءل الطفل في داخله أو يسأل المحيطين به أسئلة مثل: ما هو الموت؟ وما العلاقة بين الحياة والموت؟ وهل يفقد الميت جميع حواسه وقدراته وصفاته التي كانت موجودة فيه وهو حي؟ هل يومًا ما سيعود الميت مرة أخرى؟ لماذا يدفن الميت؟ لماذا يموت الأحياء؟ وبماذا يشعرون بعد الموت وهم داخل القبر؟
- والأخرى **زاوية معرفية شعورية**، ومنها يتساءل الأطفال في مواجهة حدث الموت: ما هي المشاعر التي تصاحب الموت؟ وما هي مشاعر الميت عند حمله إلى القبر؟ ومن هو المذنب في الموت؟

علينا مساعدة الطفل على فهم الموت بصورة صحيحة، وأن نساعده على التعبير عن إحساسه وعواطفه فى حالة الموت بصورة طبيعية، وأن نجيب على تساؤلاته عن الموت، وأن نشبع حب الاستطلاع لديه عن معنى الموت، ونشرح له ماهية الموت بصورة يستطيع فهمها.

وأعود إليك لأشير أولاً إلى نقطة لمستها من وصفك لتصرفكم الناتج عن خوفكم من أثر رؤية البنت لجثمان جدها المُتوفَّى، فأنا أرى أن الأصح كان غير ذلك، خاصة وهى بنت تستطيع التعبير عن نفسها مثلما حدث وعبّرت بالرسم عما فهمته، فقد رسمت نفسها باكية ورسمت سريرًا، فى إشارة إلى ارتباط المرض والسرير والموت، وأكتفى بذلك فلست ضليعًا فى تحليل رسوم الأطفال، خاصة أنه رسم لم أرَه، لكننى أقول لك إنه ليس رسمًا غريبًا، بل هو رسم بليغ!.

ابنة أختك تحتاج إلى مناقشة وتفريغ لما لديها من مشاعر، وإشباع لما لديها من أسئلة، وتستطيعين الاستعانة بآياتٍ قرآنية فى ذلك:

- فلبيان أن الموت حق على كل إنسان، وإلى أين يذهب من يموت، نذكر قوله تعالى: "كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ" (العنكبوت: ٥٧).
- ولبيان أننا لا نستطيع معرفة متى ولا كيف ولا أين سنموت، نذكر قوله تعالى: "إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَي أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ" (لقمان: ٣٤).
- ولبيان أننا لا نستطيع الهروب من الموت أو الملاذ إلى شئ يحمينا منه، نذكرُ قوله تعالى: "أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ" (النساء: من الآية ٧٨).

دعى أمومتك تجاه طفلك تنطلق

تقول إحدى الأمهات:

ابنى شديد العصبية والتعلق بى، وأريد أن أستفسر عن العمر الذى أبدأ فيه فى توجيه ابنى، ومتى سيبدأ فى فهمى؟ وما الألعاب المناسبة لعمره والتى تطوِّر وتنمِّى قدراته؟ وكيف لى أن أتخلص من عصبيته وهو ما زال ابن ثمانية أشهر؟

ولهذه الأم نقول:

أكثر ما لفت نظرى فى قصة المرأة التى جاءت لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- تطلب منه إقامة الحد عليها؛ لأنها زنت، فإذا بالرسول -صلى الله عليه وسلم- يقول لها: ارجعى حتى تضعى حملك، فلما وضعته جاءت للرسول -صلى الله عليه وسلم-، فقال لها ارجعى حتى تفطميه، فلما فطمته جاءت به إلى الرسول -صلى الله عليه وسلم- وبيده كسرة خبز فأخذ -صلى الله عليه وسلم- الطفل وأعطاه لأحد المسلمين ليتعهده ويربِّيه، ثم أقام عليها الحد، وقال عنها إنها تابت توبة لو وُزِّعت على أهل الأرض جميعًا لكفتهم.

والقصة دائمًا تُروى فى مجال التوبة، ولكن الواقع أن الأسلوب النبوى الكريم واهتمام الرسول -صلى الله عليه وسلم- بالطفل هو أكثر ما يُلفت نظرنا، فقد أجَّل إقامة الحد حتى يولد الطفل الذى لا ذنب له، ثم أجَّل إقامة الحد ثانية حتى يُفطَم الطفل، أى يظل مع أمه عامين كاملين حتى ترضعه.

ونتعجب من هذا الأمر فى عصر كانت تسود فيه أصلاً فكرة المرضعات، فالأم التى لا تستطيع إرضاع طفلها تستعين بمرضعة، فماذا كان يمنع الرسول -صلى الله عليه وسلم- من ذلك ويقيم الحد على المرأة؟

لقد أراد الرسول -صلى الله عليه وسلم- لهذا الطفل أن يظل العامين الأولين من عمره في حضن أمه ورعايتها، وحنانها، وقبلاتها، ينهل من معين الأمومة الذى لا ينضب حتى يرتوى من الحنان والحب، ويكتسب ثقة فى نفسه وقوة فى شخصيته؛ ولا بد أن يضمن له الرسول -صلى الله عليه وسلم- الظروف التى تتيح له أن ينشأ سويًّا، سليمًا من الناحية النفسية، ولأجل هذا الهدف أجَّل إقامة الحد فى كبيرة من الكبائر.

فهل نعى أهمية وجود الأم فى السنين الأولى من عمر الطفل بجواره؟ فهى لا تتمثل فى التربية والتوجيه وتنمية المهارات فقط، ولكنها أيضًا فى الحب، والحنان، والرعاية، والعطف، والحضن الدافئ، والقبلة الحانية..

هذا هو دور الأم فى سنوات الطفل الأولى، ليس مطلوبًا منك سوى أن تحبى طفلك، تحبِّينه فقط وتتصرفين بناءً على هذا الحب.. الطفل فى سن ٨ أشهر لا يمكن أن يكون عصبيًّا، ولكن له احتياجات ضرورية يصرخ إذا لم تلبيها له.

تسألين متى سيبدأ يفهمك.. إنه يفهمك من اللحظة الأولى، وتجدينه هادئًا حين تكونين هادئة تلاعبيه وتداعبيه برفق وحب، وتجدينه متوترًا حين تتوترين أنت، وعصبيًّا حين تكونين عصبية، وينام بهدوء حين تضمينه إلى أحضانك... أى إنه يفهمك.

أما عن توجيه الطفل فهو مع بداية إدراكه لمعنى الكلام ومعنى الخطأ والصواب، ولا يمكن أن يبدأ قبل الـ ١٨ شهرًا أو سنتين على الأقل، ويكون توجيهًا هادئًا وحنونًا وليس توجيهًا عنيفًا، وكما يقول الرسول -صلى الله عليه وسلم-: "لاعبوهم سبعًا، وربُّوهم سبعًا، وصاحبوهم سبعًا".

أما عن تنمية قدراته فأقول لك تحدثى معه باستمرار، ولاعبيه، واضحكى معه من قلبك بثقة، دعيه يتحرك ويستكشف العالم من حوله.. أرضعيه من لبنك

يزداد ذكاؤه، وحاولى من الآن انتقاء الألعاب التى تناسب عمره، فالآن الألعاب التى تتحرك وتُحْدِث أصواتًا، وبعد ذلك ألعاب الفك والتركيب التى يشكِّلها هو بنفسه، وهكذا مع مراحل نموه المختلفة.

دعوا أطفالكم ينضجون "على نار هادئة"

تقول إحدى الأمهات:

عندى ابن عمره ثلاث سنوات ونصف تقريبًا، كثير الحركة.. ألمس فيه حسًّا عاليًا فى الفهم وسرعة فى البديهة.. يتجاوب بسرعة مع ما أشرحه له، مثلاً ممكن أن أوجهه إلى طريقة استعمال الـ "ماوس"، ويسأل عما يريد معرفته حتى يستوضح جيدًا، ثم يبدأ بالانطلاق والاكتشاف، لكنه بالمقابل إذا واجهته مشكلة مثلاً فى اللعب وفشل فى الوصول إلى هدفه فإنه يرمى اللعبة منزعجًا، ثم يعود ويطالب أحدنا باللعب والفوز وكأنه يريد أن نحقق له ما فشل هو فى تحقيقه... وحين ألعب وأصل إلى لعبة صعبة يغطى رأسه متوقعًا فشلى ويخشى أن يرى ذلك بعينيه..

هذا الموضوع يخيفنى كثيرًا ويجعلنى أخشى على قدرات ابنى أن تموت؛ بسبب عدم تقبله للفشل، مع العلم بأننى أقدم له التشجيع والجوائز كلما فاز أو قدم سلوكًا حسنًا أو درسًا جيدًا فى المدرسة.. وإذا فشل أقول له "لا بأس، نحاول مرة أخرى"، لكنه فى الغالب يرفض ولا يحاول إلا إذا نسى الخسارة التى لحقت به، أو إذا عرضت عليه أن نلعب بالدور، ولكن بعد إلحاح شديد منى..

ساعدونى حتى أتمكن من تحديد المشكلة الحقيقية.. هل يمل ابنى بسرعة أم أنه لا يحب الفشل؟

ولهذه الأم نقول:

يصبح الطفل الأول دائمًا حقل التجارب الخصب لأبويه، وأنتِ بصفتك معلمة حاولتِ وضع ابنك فى "حلة بريستو"؛ لتسرعى بإنضاجه... وكان ذلك على حساب استوائه النفسى.. فالطعام فى البريستو أو إناء الطهى بالضغط يكون تام النضج، ولكنه أبدًا ليس فى مذاق ذلك الذى تركناه على نار هادئة ليتم نضجه وتسبيكه.

طفل الثالثة لا يعرف للفشل أو النجاح معنى غير ما علمناه نحن له، فهل تظهر عليكِ أمارات السعادة والفخر إذا نجح ويظهر عكسها مع الفشل؟؟؟ هل أثناء تعليمه ترددى أن هذا شئ سهل وبسيط وأنه يستطيع أن يحققه؟؟؟ هل وضعته معك فى دورة منافسة ولو لفترة من باب التشجيع؟؟؟

أعنى أننا نحن الذين نصور له الفشل على أنه شئ مُرّ صعب هضمه وقبوله.. أو أنه مرحلى يمر ويأتى بعده نجاح واستمرار.. يجب أن تراجعى تصرفاتك حوله... وليس بالكلام وحده سيتم إقناعه... بل بالفعل الحقيقى.

كيف تتصورين أن طفلاً فى الثالثة سيتقبل الفشل ويتفهمه لمجرد أن تقولى له لا بأس؟؟ ابنك لا يمل... وهو أصغر من كل ما يمر به، إذا أردتِ أن تعلميه بسرعة فليكن تعليمك كله ألعابًا... لا يوجد نجاح فيها ولا فشل ولا إنجاز... وإذا أردت أن تكافئيه فكافئيه على السلوك وليس على النتائج... كافئيه على بذل المجهود المخلص.. كافئيه على الإتقان... بغضّ النظر إلى أين وصل وماذا حقق، شاركيه اللعب بشرط أن تفشلى من آن لآخر وتضحكى من ذلك... إنه ما زال طفلاً، فلا تتعجلى بلوغه مبلغ الرجال، وإذا كنتِ تجدين عنده قابلية للتعلم فحفظيه القرآن الكريم بأسلوب التلقين... على الأقل هذا هو أفضل وقت لنقشه فى رأسه.

الأبوة... فن له أصوله

يقول أحد الآباء:

ابنى الآن عمره سنة وشهران، كيف أتعامل معه بما يناسب سنه؟ كيف أختبر ذكاءه؟ علمًا بأنه الآن يحبو؛ وأسنانه بدأت فى النمو، ويستطيع أن يقف ولكن بمساعدة، بدأ يتكلم إلا أن كلامه غير مفهوم تمامًا، حالته طبيعية ولله الحمد، أحب أن أعرف الطريقة المثلى فى التعامل معه، حتى لا أكون مهملاً فى حقه، أنا وأمه نريد إعطاءه كامل حقه من العناية والرعاية، وهل من الضرورى أن تختلف طريقة والدى فى تربيتى عن طريقة تربيتى لابنى بسبب تغير الزمان والظروف؟ أرجو الإفادة.

ولهذا الأب نقول:

إن حب الولد والعيش معه هو رحيق السعادة وبهجة الحياة، فعن سعد بن أبى وقاص -رضى الله عنه- قال: "دخلت على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- والحسن والحسين يلعبان على بطنه، فقلت: يا رسول الله أتحبهما، فقال: وما لى لا أحبهما وهما ريحانتاى".

إنها القدوة التى تحار العقول فى إدراك مقاصدها، والأبوة الحانية فى أروع مباهجها، وذلك فى ظل قوله -صلى الله عليه وسلم- عن الأولاد: "إن لكل شجرة ثمرة، وثمرة القلب الولد، إن الله لا يرحم من لا يرحم ولده...".

ولنَعُد إلى سؤالك: "كيف ترعى طفلك بما يناسب سنه؟" اجتهد فى أن توفِّر لطفلك كل الظروف البيئة والمادية -حسب طاقتك- التى تساعد طفلك ليخرج

أفضل ما عنده انطلاقًا من إمكانياته وقدراته التى منحها الله لـــه، وذلـــك عـــن طريق:

١- الأخذ بعين الاعتبار أن الطفل ينشأ ويتكون متأثرًا بالبيئة التى يحيا فيهـــا، وبالتالى لابد من توفير بيئة هادئة صالحة لنمو الطفل، ابتداءً من اســـتقرار العلاقة بينك وبين زوجتك، ومرورًا بتمثل كل ما تريدان أن تزرعـــاه فـــى طفلكما، فالقدوة هى أساس التربية.

٢- معرفة طبيعة وخصائص المرحلة التى يمر بها الطفل، وبالتـــالى مراعـــاة احتياجاتها:

- يعتبر أهم حدث فى حياة الطفل ما بين (١٢ - ١٤) شهرًا من عمـــره هو اكتسابه لمهارة المشى، فاكتساب هذه المهارة يفجِّر عند الطفل رغبة شديدة فى التعرف على الأشياء من حوله بعد أن صـــار قـــادرًا علـــى الانتقال بحرية من مكان إلى آخر، وهو ما يزيد من مسئولية الأبـــوين بملاحظة طفلهما، خاصة أنه يميل كذلك فى هذه المرحلة إلـــى التقـــاط الأشياء من فوق الأسطح والأرفف، والرغبة فى المشاركة فى مختلـــف الأعمال.
- يتميز الطفل فى هذه السن بحب الاستطلاع، فيكون شـــغوفًا بمختلـــف الأشياء من حوله، ولا يمل من فحصها والتعرف على خباياها، وتزداد لديه خاصية التركيز فى أداء الأشياء، ومن خـــلال اســـتغلالك لهـــذه الخاصية يمكنك:
  - اقتناء كتب مدعمة بالصور الملوَّنة حتى ترضى نزعته فى التعرف على مختلف الأشياء، بحيث يتعرف الطفل من خلالهـــا بمـــساعدة الأبوين على الأشياء بأسمائها الحقيقة.

- تعليق مجموعة من الصور الملوَّنة فى حجرته لأشياء يستطيع الطفل تمييزها، وذلك كنوع من إثراء البيئة التى يحيا فيها الطفل، كصور بعض الحيوانات الأليفة أو الورود والأشجار التى رآها فى الحديقة أثناء تنزهه فى حديقة الحيوان.
- جهِّز لطفلك مجموعة من الأوراق الكبيرة البيضاء وبعض الأقلام، وعلِّمه كيف يقوم بالتخطيط والرسم، ولكن لا تتوقع منه أن يقوم بعمل أى رسومات مفهومة، فهى فرصة لعقد صداقة مع الكتاب والقلم من ناحية، ومن ناحية أخرى تمرين لعضلاته المختلفة.

- لا يزال الطفل يستمتع فى هذه المرحلة بألعاب الماء، فهو يسعد بوضع اللعب والأطباق وقطع الخشب فى الماء، فأضف إلى لعب الطفل فى الحمام مزيدًا من الأشكال والنوعيات المختلفة، كالإسفنج الفلينى، وأكواب من البلاستيك، وغير ذلك، حتى تزيد معرفته بأشكال وخصائص الأشياء المختلفة.
- توفير أكبر كم من الأشياء التى يمكن أن يتخذ منها الطفل ألعابًا له؛ إذ يُعَدُّ اللعب وسيلة الطفل للتعلم والتعرف على المجتمع من حوله، ولا أقصد شراء الألعاب غالية الثمن، فهذا غير مستحب فى هذه المرحلة؛ لأن الطفل لا يعرف قيمة الأشياء، وبالتالى إذا حاول الطفل ممارسة نزعته للاستكشاف أثناء اللعب بها، فربما يصاب بالإحباط إذا تعرضت للتلف وواجهناه بأى نوع من الضيق، ولكن اترك طفلك يلعب بكل ما هو متاح للعب به فى البيت، على أن تكون هذه الأشياء آمنة كالعلب الفارغة والأطباق البلاستيكية الملونة، مع مشاركته باللعب بها وتسميتها له بأسمائها، ونسج ألعاب تفاعلية معه من خلالها... وهكذا.

- يجب الأخذ فى الاعتبار أن الطفل ينزعج بشدة إذا حاولت أن توقفه عن أداء عمل ممتع يقوم به، لكنه فى نفس الوقت يسعد ببدائل الأشياء، بمعنى أنك لو أخذت منه لعبة وأعطيته لعبة بديلة فإن ذلك يرضيه تمامًا؛ نظرًا لنزعته القوية إلى فحص واستكشاف مختلف الأشياء، كإهدائه مكواة بلاستيكية وتركه يقلد الأم أثناء قيامها بكى الملابس،أو موقد أو مكنسة أو مروحة وغيرها من اللعب المماثلة لأجهزة المنزل المحظور على الطفل استعمالها لخطورتها، ونذكر له أن هذه له والأخرى لأمه بقول لطيف: (حبيبى هذا المكواة لك هيا ساعدنى .. كل واحد منا سيكوى ملابسه..) وهكذا وتكون هذه أيضًا فرصة لشغل وقت الطفل بما يفيد عن طريق إكسابه بعض المهارات التى تنمى قدراته المختلفة (الاجتماعية والمعرفية والجسدية..) وغيرها.

وخلال هذه الفترة العمرية -ما بين سنة ونصف وسنتين من العمر- تزداد مقدرة الطفل على التفكير، وربط الأشياء بعضها ببعض، والتعلم من خلال تقليد الكبار.. ستلاحظ أنه يميل إلى تقليدك فى كثير من الحركات والأفعال، كما أنه يميل إلى إثبات ذاته، وإن كان يشعر أنه لا يزال يعتمد على الكبار، وبالتالى:

- حاول أن تنمّى قدرة طفلك على التقليد باختيار اللعب التى تسمح بذلك، مثل لعبة التليفون أو اللعب المنزلية، فهذا التقليد يساعده على تفهم بعض الأشياء من حوله وطريقة استخدامها، وكذلك يكسبه بعض المهارات الاجتماعية.
- كما أنه يستطيع أن يشاركك بشكل واضح فى ترديد أغانى الأطفال، والأدعية، ويمكنه كذلك الاستجابة لبعض الأوامر، مثل: (أحضر لى هذه الجريدة، أو كوب الماء، أو افتح الباب، .... وهكذا) ومن

الضرورى خلال هذه المرحلة أن تتحدث إلى طفلك فى مختلف الظروف لزيادة حصيلته اللغوية، ومقدرته على التحدث، مثل الذهاب إلى الشراء، أو عند قدوم أحد الأقارب، أو عند ركوب السيارة، فبذلك تساعده على زيادة ما لديه من مسميات للأشياء.

- استمر فى التحدث إلى طفلك بعبارات حقيقية بسيطة؛ لزيادة حصيلته اللغوية، ولاحظ أن حصيلته من الكلمات المفهومة أو المعجم اللغوى لا تتعدى عشرين كلمة، لكنه يكون مستعدًا لفهم المزيد من الكلمات بشكل أسرع، كما يُعَدّ هذا أيضًا أحد الوسائل لتدريبه على استقبال أفضل للمجتمع الخارجى مما يكسبه بعض العادات الاجتماعية بطريقة صحيحة وهادئة.
- يرحب الطفل فى هذه السن بمشاهدة التلفزيون، فتراه يجلس هادئًا أمامه، لكن هذا النشاط لن يفيده كثيرًا فى الحقيقة باعتباره نشاطًا سالبًا، ولكن لا مانع من أن تشاهد مع طفلك بعض برامج الأطفال، وتحاول تنمية الأفكار التى تهدف إليها هذه البرامج بحيث يستفيد الطفل منها، ولكن احرص على عدم تركه يشاهد التلفزيون وحده أبدًا، بل لابد أن تكون قد شاهدت البرامج مسبقًا لتختار من بينها ما يناسب طفلك، ثم بعد ذلك تجلس معه لتشرح له، وتعينه على فهم ما يراه من خلال مناقشات بسيطة يكون فيها متفاعلاً بشكل إيجابى، وليس متلقيًا سلبيًّا مثل: "انظر ما هذه؟ قطة، ممتاز، شاطر، القطة تجرى..."، وهكذا...

- الطفل يميل إلى التحدث مع نفسه إذا لم يجد من يتحدث إليه، ويشعر بسعادة بالغة حين يشير إلى الأشياء وينطق بأسمائها، ويتعلم كذلك أن كل الأشياء لها أسماء وتنتمى لمجموعات مختلفة، فمثلاً يكتشف أن كل

الأجسام الصغيرة ذات الأرجل الأربع ليست كلابًا، وإنما تشتمل كذلك على القطط أو الأرانب أو الماعز، وهذا التصنيف يُعَدّ خطوة مهمة فى النمو، وهو ضرورى لدراسة المواد الحسابية فيما بعد.

وختامًا أرجو أن أكون قد قدمت لك بعض العون، ويبقى الجزء الأكبر عليك فى تنفيذ هذه الأشياء وابتكار غيرها.

الفوضى .. مشكلة كل بيت

تقول إحدى الأمهات:

نحن أسرة ميسورة الحال، ولكنى أشعر أن أبنائى (٥-٨-١٠ سنوات) يعانون من الفوضى، فلا أجد شيئًا فى مكانه أبدًا، ولا يهتمون بشئ مهما بلغت قيمته، ويكرهون الدراسة أو أى التزام بشكل عام، وأخشى أن يكبروا وهم على هذه الحال من الفوضى، أرجو منكم إعطائى بعض النصائح للقضاء على هذه المشكلة.

ولهذه الأم نقول:

مشكلتك من أكثر المشكلات التى يسأل عنها الأهل، فأغلب أطفالنا غير منظمين، فوضويون فى ترتيب حاجاتهم وكتبهم وثيابهم، وفى توقيت تناول طعامهم، وأوقات دراستهم، وتنظيم حياتهم اليومية، مع أن سرّ النجاح بشكل عام هو النظام، وبالأخص تنظيم الوقت.

فى الحقيقة يبدأ تعليم الطفل النظام منذ سنواته الأولى؛ ففى البداية يقوم الطفل بالتوافق مع نظام الغذاء والخضوع لنظام الوجبات، وكذلك الذهاب إلى النوم فى ساعة محددة، وكل هذه الأمور تحقق سمة الدقة والتنظيم فى حياة

الطفل؛ فيعرف أن للأشياء حدودًا وقيودًا لا يمكن أن يتجاوزها؛ فالأكل والنوم واللعب وغيرها ليست مجالات مفتوحة أمامه كما يريد، بل يتم توجيهه إلى أن يأخذ منها كفايته دون تجاوز؛ حفاظًا على صحته وصحة الآخرين وراحته وراحة الآخرين، ومع ذلك فبالنسبة لأولادك لم يفت الوقت بعد، ولكن هناك طرق يجب اتباعها أثناء تعليمك إياهم للنظام، وأخرى يجب اجتنابها، وهى:

أولاً: أساس تعليم النظام هو الحب والاحترام المتبادل؛ فالطفل يطيع عندما يحب، ويعصى عندما يكره، وهكذا فإن النظام مرتبط إلى حد بعيد بالطاعة والمحبة، وهذا ما يظهر لدى كثير من الأطفال حين يهتمون بمادة دراسية أكثر من أخرى، ليس ذلك إلا بسبب حبهم للمدرس أو للمدرسة، وبالتالى فهم يطمحون إلى نيل رضاهم، وقديمًا قيل: "إنَّ المُحِبَّ لِمَن يُحِبُّ مُطِيعٌ"... إذن فمن المهم إرشاد الطفل إلى النظام فى أى مرحلة عمرية عن طريق الرفق والحنان، وقد حثَّ الرسول -عليه الصلاة والسلام- على الرفق فى أحاديث كثيرة منها: (إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطى على الرفق ما لا يعطى على العنف، وما لا يعطى على ما سواه). وقوله -صلى الله عليه وسلم-: (إن الرفق لا يكون فى شئ إلا زانه، ولا يُنزَع من شئ إلا شانه).

ثانيًا: كى يكون النظام واقعيًا ومقبولاً يجب ألا يفوق قدرات الطفل، وكما تعلمين فلكل طفل قدراته المختلفة عن الآخرين؛ فلا تصح المقارنة بينهم، فلكلٍ منهم ميوله وإدراكه وقدراته وإمكاناته؛ لأنك إذا كلفتِ طفلك باتباع نظام قاسٍ فسيعمد إلى الفوضى؛ لذلك يجب أن تكون الأوامر مناسبة لإمكانات الطفل، قال تعالى: (لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا) (البقرة/ ٢٨٦). فانتبهى إلى الأوامر التى تصدرينها لأطفالك واسألى نفسكِ: هل ما زالت مناسبة للعصر الذى نعيش فيه؟ فالزمن يتغير وما كان ممكنًا تطبيقه بالأمس قد

يصعب تطبيقه اليوم، خاصة أنكِ تعرفين أن المفاهيم الغربية تغزونا بسهولة، والموضة السائدة هى الخروج عن كل رباط أو التزام.

ثالثًا: إياك أن تزعزعى مفهوم النظام فى أذهان أطفالك كما يفعل بعض الأهل؛ فمرة يطلبون تطبيق نظام معين، ويهملون ذلك مرات أخرى، أو أن تطلب الأم اتباع نظام معين، بينما يخالفها الأب باتباع نظام آخر، وهذا الاختلاف بين أوامر الأم وأوامر الأب يخلق أضرارًا تربوية بالغة فى نفسية الطفل.

رابعًا: خير وسيلة لتعويد الطفل على النظام القدوة الحسنة؛ فالطفل بطبعه يحب التقليد؛ وبالتالى فإن إعطاءه دروسًا عملية فى إطاعة النظام العام، سواء كانت أوامر إلهية أو قوانين اجتماعية يخلق فيه حب النظام، وكذلك يمكنك جعل الابن الأكبر هو القدوة للأصغر بدون ضغط عليه أو تحميله مسئوليات فوق طاقته.

خامسًا: وزّعى المهام على أبنائك، وكلِّفى كل واحد منهم بما يستطيع من أعمال المنزل؛ ليتعلموا أن هذا منزلهم وأنهم مسئولون عن ترتيبه ونظامه، وبالطبع يجب أن يرتبوا غرفهم قبل كل شئ، وهنا يمكنك مساعدتهم أول مرة بحيث يتعلمون أين يضعون الأشياء، وبعد ذلك يصبح بإمكانهم أن ينجزوا المهمة بدونك.

سادسًا: قد يسألك أطفالك عن أسباب الأوامر التى تطلبين منهم تنفيذها؛ ناقشيهم فى جدواها وصحتها وفائدتها لهم ولمجتمعهم، ولا تعتبرى ذلك من قبيل التحدى لإرادتك أو المماطلة أو الجدال، بل من الأفضل أن تعوّديهم على الطاعة المبصرة وليس الطاعة العمياء، وهذا مما يزيد ثقتهم فى أنفسهم مستقبلاً.

وعندما يخالف الطفل هذا النظام لا يكون العقاب مفيدًا إذا لم يتم ربطه بالتوجيه وربط العقاب بالذنب، على أن تكون العقوبات طبعًا بمقدار الذنب، وليست تعبيرًا عن درجة انفعال الأم أو الأب بسبب أمر ما، فيقومان بإسقاط انفعالاتهما على رأس الطفل المسكين. وهذا للأسف كثيرًا ما يحدث عندما يُطلَب من الطفل تنفيذ الأمر دون أن يناقش، انطلاقًا من مبدأ عسكرى يقول: "نفِّذ ولا تعترض".

وقد يكون السبب أنها الطريقة التى عوملنا بها فى بيوتنا وتربينا عليها، أو بسبب النظم السياسية التى نشأنا فى ظلِّها؛ فلا مجال للأخذ والرد مع الطفل، وإذا رفض تنفيذ الأمر فلا نسأله لماذا يرفض، بل نعاقبه فورًا، وكأننا ننتقم لأنفسنا، وبالتالى يتحول الطفل إلى منفِّذ آلى للنظام على غير قناعة منه؛ بل لمجرد الطاعة القسرية وخشية العقاب، وتنفجر النقمة فى داخله، وتظهر فيما بعد بصور سلوكية شتى، منها وأخطرها ازدواج الشخصية.

أحيانًا يمكن ترك الطفل ليكتشف بنفسه مساوئ عدم تطبيق النظام؛ ليفهم من ذلك أهمية تطبيقه، فمثلاً إذا كنت تعانين من أن أطفالك لا يعيدون الأشياء إلى مكانها؛ فدعيهم يفتشون عنها، وأعلميهم أن هذا الوقت الذى يضيع فى البحث سيقتطع من وقت لعبهم وليس من وقت دراستهم، أو ابدئى فى تنفيذ عقوبات صغيرة لمن يخالف نظام البيت، أو يساهم فى الفوضى بأى شئ تجدينه مناسبًا كاقتطاع جزء بسيط من مصروفه، أو مساعدتك فى أحد أعمال المنزل لمدة معينة، بينما إخوته يستمتعون باللعب، وهكذا... .

إذن النظام يتم بالتعويد والتقليد والتوجيه والقدوة قبل كل ذلك، وإن فى انتظامهم على أداء الصلوات الخمس فى مواعيدها بداية طيبة لتنظيم الوقت، وتنظيم الحياة يكون مراعاة لحقوق الله عز وجل قبل أى شئ، ثم أخذهم بالآداب

الإسلامية، سواء فى الطعام أو الملابس أو اختيار الأصحاب أو النوم أو أى مرفق آخر من مرافق حياتهم نظام متكامل لهم، ولكن عليك أن تكونى على ثقافة جيدة؛ لأنك قد تتعرضين لأسئلة من حقهم أن يسألوها، ومن واجبك أن تجيبى عنها، مثلاً قد يحب أحد أطفالك أن يأكل وهو مستلق أو متكئ؛ فيجب أن تشرحى له أن الرسول -صلى الله عليه وسلم- لم يكن يأكل متكئًا، واشرحى له أن ذلك مضرّ أيضًا من الناحية الصحية، وبذلك توضحين لهم أن كل أوامر الله ورسوله هى لفائدتنا فى الدنيا والآخرة.

وأنبهك إلى أن الثقافة التى تغزونا فى المتعة والترفيه واللهو هى خطر كبير إذا لم ننتبه لها، فأولادنا إما أننا نكسبهم بتنشئتهم على الإسلام أو أن نخسرهم؛ لأنهم سيركبون الموجة الدارجة.

وبالنسبة للدراسة والالتزام يجب أن تعرفى أن الواجب ثقيل على النفس البشرية، فكيف بالأطفال وحياتهم هى اللعب، واللهو، والفرح، والسعادة، والانطلاق بدون قيود؟ لكن هذا لا يعنى ألا نُفهِمَهم أن الدراسة واجبهم، وإذا لم يقوموا هم بواجبهم الدراسى فهذا سيعود عليهم بالضرر آخر العام بالرسوب أو الحصول على درجات متوسطة أو ضعيفة، وهنا يمكنك استعمال الثواب بأن تعديهم بمكافأة بسيطة عندما تكون درجاتهم جيدة، سواء فى كل مادة على حدة أو بمكافأة أكبر فى نهاية الفصل الدراسى أو العام الدراسى.

طبعًا لابد أن تقومى بمساعدة الأقل ذكاءً بينهم، حتى لا يحدث نوع من الغيرة؛ بسبب أن أخاه أو أخته يأخذ مكافآت أكثر، فراعى هذا دائمًا.

واعلمى أن المغريات التى بين أيدى أطفالنا لم تكن موجودة فى زماننا عندما كنا أطفالاً؛ إذ كانت جلستنا أمام التلفزيون لا تتعدى ساعة أو نصف ساعة نرى فيها فيلمًا كرتونيًّا أو مسلسلاً للأطفال على قناتنا المحلية، أما الآن فسياسة

إلهاء الأطفال عن واجباتهم وتوجيههم إعلاميًا بشكل خاطئ، موجودة فى أغلب القنوات الفضائية؛ ولذلك أرى ألا تسمحى لهم بمشاهدة برامج الأطفال على هواهم، دعيهم يختارون فيلمًا كرتونيًا واحدًا أيام المدرسة، بحيث يرونه وهم يتناولون طعام الغداء مثلاً، وبعد ذلك حثِّيهم على المذاكرة، واجعلى لهم قسطًا من الراحة بعد دراسة ساعة مثلاً أو ساعتين، وهذا يختلف باختلاف عمر الطفل وقدرته على الاستيعاب... فعندما يطلب طفلك استراحة وتشعرين فعلاً أنه بحاجة إليها يجب أن تمنحيها له؛ ليقوى على استعادة نشاطه بعد فاصل قصير. وكلامى هذا لا يعنى أننى أرى أن التلفزيون وسيلة مناسبة للترفيه حتى فى أيام العطلة، بل على العكس أحبِّذ أى نوع من الألعاب عليه؛ لأنه إذا لم يكن ذا فائدة فهو مضيعة للوقت، ويجعل الطفل متلقيًا أكثر منه مشاركًا، خاصة إذا لم ننتبه لنوع الأفلام التى يشاهدها، فانتبهى لخطورة ما يبث بوعى أو بغير وعى، فإن الله سبحانه سائلنا عن أولادنا.

ولا ننسى أن نذكرك بضرورة أن تتابعى مع المعلمة مستواهم الدراسى وتشعريهم بذلك؛ لأن إحساسهم بأن هناك من يهتم بهم ويتابع قيامهم بواجباتهم يمنحهم دافعًا أكبر للقيام بها.

الخوف الزائد على الأبناء يعوق التربية

تقول إحدى الأمهات:

أنا أم لطفلة فى الثامنة وطفل فى السادسة، كانت عندى مشكلات مع أهل زوجى أثرت علىَّ لدرجة أننى كنت أفقد أعصابى على ابنتى وهى فى الثانية من العمر فأضربها وأتعصب عليها، وكانوا دائما يقولون إن ابنتى سيئة التربية وهى فى هذه السن الصغيرة، وكنت أصدقهم لجهلى بطبيعة الأطفال وقلة خبرتى.

وكم عانيت وعانت ابنتى من جهلى بكيفية التعامل معها بالطريقة الصحيحة، ولهذا عاملت ابنى الثانى بالهدوء والحنان اللذين جهلت التعامل بهما مع ابنتى، ولكن الله يعلم كم أحاول إصلاح نفسى والمساواة بينهما وإعطاءهما وقتى وحبى الشديد.

ولكنى ألاحظ أن ابنتى تعانى من تراجع مستواها الدراسى قليلاً، حتى إن الشيخ الذى يُحَفِّظُها القرآن لاحظ فتورها فى الحفظ بعد أن كانت متفوقة، أما ابنى فهو ذكى ولكنه لا يركز فى المذاكرة، جربت كل الطرق من الضرب والعقاب والحنان ولكن لا شئ يفيد، أشعر أننى أم فاشلة لا أعرف كيف أربى أبنائى، والمشكلة أننى حامل فى شهرى الخامس والحمل يزيد من توترى، فعندما أضربهم أبكى بشدة وأشعر بالندم، ولكن خوفى على مستواهم الدراسى يفقدنى أعصابى، وأساعدهم على الاشتراك فى الألعاب الرياضية المختلفة، وأحفظهم القرآن، وأعلمهم الصلاة، ولكنى أموت خوفًا على أبنائى.. ماذا أفعل حتى أصل بهم إلى بر الأمان؟

ولهذه الأم نقول:

أحييك على شجاعتك وعلى اعترافك بخطئك فيما كنت تفعلينه مع ابنتك الكبرى، وأحييك مرة أخرى على محاولتك التماس الأسلوب الصحيح فى التربية، ولكن اسمحى لى أن أعترض على هذا القلق والخوف الشديدين اللذين يضران أكثر مما ينفعان، ويؤلمان أكثر مما يريحان، ويهدمان أكثر مما يبنيان.

كما أعيب عليكِ هذا الشعور بالفشل واليأس أو العجز وقلة الحيلة تجاه تربيتك لابنيك وتوجيههما، ورغم أنك لم توضحى كثيرًا من الأمور مثل: حالك مع أهل زوجك الآن، وعلاقتك بزوجك كيف هى؟ وعلاقة زوجك بالأبناء؟ إلا أنه من الواضح أن المشكلة تكمن فى المقام الأول فى السببين اللذين ذكرتُهُما لك

من قبل (القلق الشديد وشعورك بالفشل الذى يصحبه الشعور بالذنب)؛ لذا سيكون تركيزنا فى علاج ما تشكين منه فى كيفية التعامل مع هذين الأمرين، وإذا تكونت لديك قناعة تامة بأنك كنت تجهلين أمر تربية ابنتك وأنك الآن تحاولين تصحيح الأسلوب والطريقة مع ولديك، فهذا يعنى الكف تمامًا عن لوم نفسك تجاه ولديك، وذلك يتطلب منك أن:

- تذكّرى نفسك بأن كل إنسان يخطئ وخير الخطّائين التوابون، كما قال -صلى الله عليه وسلم- خاصة أن خطأك هذا لم يكن عن عمد بل عن جهل وعدم معرفة بأساسيات وفنون التربية السليمة.
- لا تتهاونى بالتدليل الزائد أو التسيب أو التساهل فى الخطأ مع ابنتك أو ابنك كنوع من تعويضهما عن الفترة السابقة القاسية فى حياتهما لإراحة ضميرك، ولا يعنى هذا أن تسيرى على نفس النهج السابق، ولكن بالطريقة التى سأقترحها عليك.

أما عن قلقك ورعبك على مستوى أولادك الدراسى، فاسمحى لى أن أقص عليكِ مشكلة إحدى الأمهات التى كانت تعانى من هذا النوع من القلق، فقد حكت لى إحدى الأمهات أنها كانت تود لابنتها الكبرى التفوق الدراسى، وفى أول عام دراسى لابنتها -أى فى الصف الأول الابتدائى- حينما حُدد موعد اختبار آخر العام شعرت الأم بمسئولية ضخمة، وأنها لابد أن تحرص كل الحرص على مستقبل هذه الطفلة، وأن تعد لها كل لوازم الاختبار، وباتت ليلتها مؤرقة، وخافت أن يفوت ابنتها موعد الاختبار فظلت ساهرة حتى الفجر، فإذا بها يغلبها النوم ويفوت موعد الاختبار فعلاً، صحيح أنها استطاعت حل هذه المشكلة مع إدارة المدرسة ومر الأمر بسلام، وامتحنت الطفلة بعد بداية الموعد الرسمى بساعة، لكنها تعلمت درسًا لن تنساه أبدًا، ومن هنا نتعلم أن "شدة حرصنا على شئ يفقدنا إياه"، وأظن أنك خمنت ما أود قوله، فكلماتك الأخيرة فى الرسالة

(ولكنى أموت خوفًا على أبنائى) هى أساس الداء، ولابد من التعامل مع هذا النوع من الخوف وعلاجه؛ حتى لا نكون مثل الدبة التى قتلت صاحبها، أو مثل تلك الأم التى ذكرتُ لك حكايتها، وبناءً على ذلك لابد أن:

- تردِّدى على مسامعكِ دائمًا أن الخوف الشديد هو الذى سيجنى على أطفالك.
- عليكِ بالدعاء لنفسكِ أولاً بأن يجعل الله كل أمرك ميسرًا وسهلاً ويعينك على أداء هذه الرسالة، وأوصيك بالدعاء المأثور (اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلاً، وأنت تجعل الحَزَنَ إذا شئتَ سهلاً)، ثم الدعاء لأبنائك بأن يحفظهم الله، وأن يكون الخير فيهم وفى ذريتهم إلى يوم الدين.
- عليكِ أن تعى أن الشخصية السوية لا تعنى تلك الشخصية المتفوقة دراسيًا، أو على الأقل لا تقتصر عليها.
- عليكِ أن تهتمى بأبنائك، من حيث إنهم آدميون يستحقون العناية والاهتمام وليسوا -فقط- أدوات للتحصيل الدراسى، فخبرات الحياة اليومية أشمل وأعم وأهم بكثير من التحصيل الدراسى والمذاكرة.
- عليكِ بالاطلاع والقراءة فى المجال التربوى حتى يعينك ذلك على استكمال مسيرتك فى تصحيح أسلوبك التربوى مع أبنائك، وذلك من خلال البرامج التربوية التى كثرت على القنوات الفضائية أو الكتب أو البحث على الإنترنت، وقد أصبحت كلها مصادر متاحة.

إن الاقتراحات السابقة هى الأساس الذى سنبنى عليه طريقة وأسلوب التعامل مع أبنائك، فإذا لم تطبقى ما سبق أو تهاونتِ فيه فلن يجدى ما سيتم اقتراحه فى التعامل بشكل مباشر مع المشكلات التى ذكرتِها ... وإليكِ الآن بعض الاقتراحات:

- بالنسبة لفتور ابنتك فى الحفظ، فهذا متوقع فى هذه السن، بغض النظر عن الظروف التى مرت بها الطفلة، فالأطفال يملون الحفظ لعدة أسباب، منها: الرتابة، وقلة الدافعية، وعدم تنمية مهارة الاستماع، والاقتصار على نشاط الحفظ فقط، وعدم وجود التنافس؛ لذا فأنا أفضّل دائمًا أن يحفظ الأطفال بالمساجد ولا يتلقون القرآن فى البيوت.
- أما عن تراجع مستواها الدراسى، فلا بد أن يُدرَّب الطفل ويُعَلَّم أن لكل فرد مسئولية ومهام لابد أن يؤديها، والطفل فى المرحلة الصغيرة عليه عدة مسئوليات منها: ترتيب غرفته، والمساهمة فى الأعمال المنزلية بما يتناسب مع سنه وقدرته، والمذاكرة، ويُفهّم الطفل ذلك بضرب المثل بالأب والأم فكلاهما لديه مسئوليات يقوم بها ولا يتضجر منها، وإذا تعب فلابد له من أخذ قسط من الراحة، كما يمكن تدريب الطفلة على كيفية تنظيم الوقت وعمل جدول يتضمن وقتًا للمذاكرة، ووقتًا للعب، ووقتًا لأداء المهام بالمنزل، ووقتًا لأداء الصلوات... وهكذا، مع العلم بأن كل ما سبق يطبق مع طفليك وليس مع ابنتك فقط، وكل هذا يحتاج لمزيد من الصبر والمثابرة، فلن يستجيب الطفلان لهذا النظام بسهولة.
- إن أطفالنا ليسوا آلات تنفذ ما يُطلَب منهم خاصة المذاكرة، ولكن لابد من إعطائهم بعض الاهتمام والحب واللعب، ولا يقتصر التعزيز والمكافآت على المستوى الدراسى فحسب، بل يمكن إهداؤهم بعض الهدايا بمناسبة قدوم رمضان مثلاً أو فى العيدين أو فى أعياد الميلاد أو بدون سبب، ولكن لمجرد التعبير عن الحب والود والتقدير، وأركز دائمًا على عدم لعب دور الموجه والناظر والمدرس مع أبنائنا، بمعنى ألا يقتصر دورنا على التوجيه والوعظ بصفة مباشرة ومستمرة.

- ونصيحة أخيرة أود أن أنهى بها كل ما سبق، وهى نصيحة غالية ذكرها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لأحد الصحابة حينما قال له: أوصنى يا رسول الله، فردَّ الرسول الكريم -صلى الله عليه وسلم- بكلمة جامعة: "لا تغضب"، فلا تصدقى نفسك، أو بمعنى أدق لا تطاوعى نفسك فى أنك لا تستطيعين ضبط انفعالاتك، وسوف أضرب لكِ مثلاً بسيطًا لتعرفى أنكِ يمكنكِ تملُّك نفسكِ عند الغضب، فإذا تذكرتِ نفسكِ فى خلافاتك مع أهل زوجك فأنا على يقين من أنك كنت تضبطين انفعالاتك معهم فى بعض الخلافات على الأقل مهما بلغ بك الغضب، والسبب فى ذلك أننا -مع الأسف- نشعر أن أبناءنا لن يستطيعوا الدفاع عن أنفسهم أو أخذ حقهم كما يفعل الكبار، فنحن ندَّعى أننا لا نملك زمام أنفسنا مع هؤلاء الذين نستضعفهم؛ لذا عليكِ أن تتذكرى قوة الله عليك حينما تستقوى نفسك على أبنائك، وحينئذ فقط ستشعرين أنك استطعت التغلب على هذه العادة السيئة، وتحظين بتقدير ذاتك، ولن تلجئى إلى البكاء والإحساس البشع بالندم الذى يعقب ضربكِ لهم.

أسرار حب وكره القراءة

تقول إحدى الأمهات:

ابنتى فى السابعة من عمرها، لا تحب القراءة أو القصص، ولكنها تفضل كثيرًا ألعاب البلاى ستيشن أو الكمبيوتر أو اللعب مع الأطفال، قمت معها بمحاولات عديدة لأجعلها تقرأ، ولكننى لم أستطع، وفشلت كل محاولاتى.

أفيدونى كيف أحبب القراءة لابنتى؟ ولماذا ابنتى كبقية الأطفال لا يحبون القراءة؟

ولهذه الأم نقول:

معكِ حق؛ فالفرد القارئ فرد نافع لنفسه ولمجتمعه، أما من لا يقرأ فهو بين جدران خبراته المحدودة يسمع صدى أصواته الداخلية فقط.

إن الأطفال قد يعزفون عن القراءة إما لعدم وجود كتاب جيد جذاب بسيط، أو لكثرة المغريات (كمبيوتر - تليفزيون - بلاى ستيشن) وغير ذلك، أو لطموحنا الضاغط الذى يصور لنا ضرورة أن يبدأ الطفل فى القراءة لنفسه بمجرد تعلمه للقراءة، وبالتالى فلم تَعُد هناك حاجة لنقرأ له.

إن طفلتك فى السابعة من عمرها ومن الطبيعى أن تكون قدرتها على القراءة بمفردها ما زالت غير جيدة، فلا تتعجليها ولا تقارنيها بغيرها؛ حيث إن الفروق الفردية بين الأطفال تلعب دورًا كبيرًا فى هذا المجال، وتصل هذه الفروق فى القدرة على القراءة إلى أربع سنوات أى بين ٣ : ٧ .

إذن سنتعامل مع الموضوع على اعتبار أنها لا تحب أن تقرأ لنفسها، وسأقسم كلامى إلى ثلاثة محاور رئيسية (المهارات اللازمة للقراءة، وطبيعة عملية القراءة، وكيفية تحبيب الأطفال فى القراءة).

أولاً: المهارات اللازمة للقراءة:

وهى عملية التمييز البصرى بين شكل الحرف ونطقه، وهذه مهارة يمكن إكسابها للطفل باستخدام ما يلى على شكل ألعاب، جنبًا إلى جنب مع القراءة فى حد ذاتها:

- بطاقات الكلمات والصور.
- البازل (الصور المجزأة).
- بطاقات التطابق (مثل الكوتشينة وغيرها).

- بطاقات أكمل الناقص فى الشكل.
- بطاقات أين النصف الثانى؟
- الربط بين الكلمة والصورة.

ثانيًا: طبيعة عملية القراءة:

القراءة عملية معقدة، تتضمن التعرف على الحروف وكيفية نطقها، والتعرف على شكل الكلمات ونطقها، إضافة للقدرة على فهم معانى الكلمات، ثم معانى الجمل، ثم الربط بين تسلسل الأحداث، مع القدرة على التركيز والتذكر والاستيعاب، والنقد والتعبير عما تمت قراءته، مع العلم بأن الأطفال فى هذه السن يصعب عليهم تركيز أبصارهم على الأشياء الدقيقة، كذلك فإن سرعة الأطفال فى القراءة الجهرية أكبر من سرعتهم فى القراءة الصامتة، إذن فحسن اختيار كتاب الطفل فى هذه السن أمر مهم.

ثالثًا: كيفية تحبيب القراءة للأطفال:

المهم فى الفترة الأولى من التعود على القراءة هو الابتهاج بالقراءة البسيطة حتى ولو كانت الاستفادة العقلية قليلة، وذلك باستغلال حكايات قبل النوم، فبدلاً من أن تكون شفهية أحضرى القصة واقرئيها معها فى سريرها.

اقرئى لها أولاً، ثم فى بعض الليالى اتركيها هى لتقرأ بنفسها، ولا تتعجلى التصحيح لها إن أخطأت؛ فلا تنسى أننا لا نرغب فى تعليمها القراءة، بل تعويدها عادة القراءة وإعطاؤها الثقة وتركها للاستمتاع، وليكن التصحيح فى حدود ضيقة دون تشتيت عن المادة المقروءة.

كيف يتم اختيار الكتاب؟

- ابدئى مما تحب طفلتك، فإذا كانت تحب الكمبيوتر مثلاً.. فاجعلى ذلك هو المحور الذى تدورين حوله، ابحثى عن كتب صغيرة جدًا عن الكمبيوتر،

واقرئى عليها بعضًا مما بها من معلومات تحسن استخدامها للكمبيوتر، وبهذا سوف تجد نفسها تكسب المعلومة التى تحبها وتحتاج إليها، وتفهم أن ذلك كان عن طريق الكتاب.

- هناك الكثير من مجلات الأطفال التى بها معلومات عن الكمبيوتر حسب سن طفلتك، ولابد أن تقرئيها لها أولاً، ثم عند تأكدك أنها تستطيع القراءة، وأنها مستمتعة بها تظاهرى بانشغالك، ودعيها تقرأ لك سطرًا أو سطرين فى البداية، حتى تنتهى مما تقومين به من عمل.
- وهناك طريقة أخرى، وهى أن تشترى لها قصصًا مصورة على أقراص مدمجة CDs مصحوبة بكتاب، حيث تطالع الكتاب بعد مشاهدتها للقصة كفيلم على الكمبيوتر، وسيكون هذا ممتعًا لها.
- دعيها تكتب خطابًا قصيرًا على الكمبيوتر لتقرأه لك أو لوالدها حينما يعود، مثل: "أبى.. أحبك".. "أريد الخروج فى نزهة" .. "من فضلك.. أريد ألعابًا جديدة"... وهكذا، فهى حينما تكتب جملاً قصيرة سوف تحب أن تقرأها لكما، استغلى ذلك فى خطوة تالية لتصنعى معها قصة صغيرة فى عدد قليل من الأوراق، وكل ورقة تحتوى على جملة قصيرة، على أن تكون طفلتك مستمتعة بذلك، ثم غلفيها معها لتكون قصتها التى كتبتها وتعيد قراءتها عليك، وبالطبع يمكن تشجيعها على رسم شئ معبر عن كل جملة، أو لصق بعض الصور من مجلة تناسب كل عنصر من عناصر القصة، كل هذه الأفكار يمكن أن تستخدم كمحفز أولى للقراءة باستغلال ما تحب.
- ربما تجدين قصة مشابهة لما كتبت فى المكتبة فأحضريها وقومى بقراءتها سويًا، ويفضل أن تتبادلى معها القراءة حتى لا تمل.
- سجلى القصة التى تحبها بصوتك أو صوتها حسب رغبتها، ودعيها تستمع إليها بينما تطالع الكتاب.

- لا تنسى أن القارئ الجديد يحتاج تشجيعًا ومساعدة لمعرفة معانى الكلمات الجديدة، وبالتالى فمن الأفضل أن تقرئى أولاً القصة التى ستقدمينها لطفلتك للتعرف على المفردات الجديدة عليها، ثم استعمليها فى حياتكم اليومية قبل البدء فى قراءة القصة حتى تتعرف على هذه المفردات وتستخدمها فى مواقف حياتية مختلفة.
- ومن المفيد إقامة حوار حول القصة وما دار فيها وشخصياتها.
- اجعلى البيت بيئة تحترم القراءة؛ وذلك بتخصيص مكان مريح للقراءة، واجعلى فى حجرتها ركنًا أنيقًا للكتب.
- اتركى لها حرية القراءة فى الوقت والمكان الذى تختاره.
- دعيها تراكِ تقرئين أنت ووالدها، وتراكما تستمتعان بذلك وتتفاعلان مع الكتاب أثناء القراءة بالضحك أو البكاء أو الصوت العالى، وغير ذلك من التعبيرات التى توضح تفاعلكما.
- حدِّدى وقتًا معينًا فى النهار للتليفزيون والكمبيوتر وغير ذلك من الأشياء التى تضيع الكثير من الوقت، ولكن دون أن تحاولى أن تغلقى التليفزيون مثلاً لتقرأ، فلا تجعلى القراءة منافسًا سخيفًا لما تحبه.
- اجعلى الطفلة تختار كتبها بنفسها، وقدِّرى اختيارها واحترميه، بل واقرئى باستمتاع لنفسك أمامها ما تختاره من كتب، فإظهار اهتمامك واحترامك لاختيارها يجعلها تسعد به وتقرأه، مما يخلق مجالاً لحوار مشترك بينكما.
- لا تقدمى لها الكثير من الكتب فى آن واحد، ويفضل أن تجلبى لها الكتب فى صورة هدايا.

- تذكرى دائمًا أن القراءة نفسها والتعود عليها أهم من المادة التى تقرأها، فدعيها تقرأ ما تحب (مجلات الموضة، الرسوم الهزلية، الصفحات الرياضية، صفحات الكمبيوتر، أو غير ذلك) طالما لا تحوى شيئًا مخلاً.
- يمكنك عمل صندوق بريد منزلى تكتبون فيه خطابات لبعضكم، فهى تجربة ممتعة للطفل، وتعود ابنتك الإفصاح والتعبير عن مشاعرها.
- أحضرى لها دفترًا لتدون فيه يومياتها، فقراءة اليوميات بعد فترة سيحفزها على المزيد من الكتابة والقراءة، ويكسبها الكثير من المهارات.
- يمكنك أن تحكى لها حكاية، كالنملة فى القرآن مثلاً، اجعليها تحفظ الآيات القصيرة التى تحكى القصة ثم احكيها لها، واطلبى منها عمل مجسم للنملة بالصلصال، كذلك يمكنها أن تقص وتلون، ويمكنك أن تكتبى القصة ببساطة شديدة على عدد من ورقات الكرتون، واجعليها تقرأها وتعلقها فى غرفتها، ولا تركزى على القراءة فقط رغم أنها الهدف، وحاولى تفعيل أكثر من وسيلة فى نفس الوقت.
- ساعديها على حفظ القرآن الكريم، ثم محاولة قراءة بعض كلماته من المصحف، خاصة أثناء قراءتك أنتِ، فهذا يحفز الطفلة كثيرًا.
- اكتبى بعض الكلمات على لوحات جميلة، واجعليها تعلقها فى غرفتها لتطالعها وتحاول قراءتها مرة بعد مرة.
- حاولى وضع بعض الملصقات أمام سريرها، وبها معلومات بسيطة أو جمل أو قصة صغيرة، فهذا يحفزها على أن تكون ممتعة وفى دائرة اهتماماتها.
- شاركيها القراءة فى وقت مناسب لكِ حينما تكونى فى حالة مزاجية جيدة، فلا تحاولى أن تقرئى لها أو معها إلا وأنت مستعدة لذلك ومستمتعة بما تفعلين، ومن الضرورى أن تلاحظ ابنتك استمتاعك بالقراءة.
- ابعدى كل المشتتات عن ابنتك فى وقت القراءة.

- اجعلى قراءتك لطفلتك مكافأة لها على عمل جيد قامت به.
- شجِّعى طفلتك لتمثل جزءاً من القصة التى قرأتِها لها.
- اشتركى لها فى مكتبة عامة لترى غيرها من الأطفال، ولـيكن لهـا بطاقـة عضوية خاصة تحمسها للقراءة.
- الطفل يحب النغم، ويحب القوافى والسجع، فحاولى أن تختارى من الكتب ما هو مكتوب بأسلوب مقفى، أو تحولى جزءاً من الكتاب نفسه إلى أغنية.
- يمكنك جعلها مسئولة فى رحلات التسوق عن قـراءة المكونـات أو أسـعار السلع أو قائمة المشتريات وعناوين المجلات وغير ذلك.
- يمكنها أن تقرأ لك وصفات الطعام بينما أنت تعدينها.
- استمعى ولا تكونى ناقدة أو مصححة، بل كافئى النجاحات.
- يمكنك أن تطلبى منها أن تحضر لكِ كتابك فتقرأ عنوانه، ودعيها تقـرأ لـكِ اسم المؤلف، ويمكنك قراءة جزءًا منه لها إذا ما شعرتِ باسـتعدادها لـذلك، وكذلك إذا ما كانت مادة الكتاب يمكنها فهمها كالأجزاء المضحكة، أو معلومة تهمها أو شيئًا يقع ضمن اهتماماتها.
- حاولى أن تشجعى زميلاتها وصديقاتها وقريباتها المحببات لها على القراءة، فذلك يساعد كثيرًا، فالرفاق يشتركون فى الاهتمامات ويحفزون بعضهم.
- اصنعا معًا سلة أو صندوقًا وزينوه بشكل مبهج؛ لتضع ابنتك فيه ما تنتهى من قراءته من كتب.
- اجعليها تقرأ على شخص أصغر منها؛ لأن هذا يشجعها.
- يمكنك أن تخصصى وقتًا للقراءة العائلية، فحينما ترى الطفلة جميع من حولها يقرءون تتحفز هى أيضًا للقراءة.

المنهج السليم لتحفيظ القرآن الكريم

تقول إحدى الأمهات:

عندى طفل عمره أربع سنوات، أود أن أعلِّمه القرآن، فكيف أغـرس فيـه حب قراءة القرآن وحفظه دون أن يملَّ؟ أفيدونى..

ولهذه الأم نقول:

ربما كان من الضرورى قبل الإجابة عن هذا السؤال أن نتعرف أولاً على أسباب عـزوف معظم الأطفال عن حفظ القرآن، ولن أتعرض إلا لسببين، هما -من وجهة نظرى- أهم الأسباب على الإطلاق، فإذا عرفناهما كان هذا مـدعاة لعلاجهما، ومن ثَم يسهل أمر الحفظ، السببان هما:

١. الاعتماد فى كل ما يقدم للأطفال على الإبهار الحركى بدءًا من التليفزيون، ومرورًا بالفيديو، وأخيرًا الكمبيوتر، مما أدى إلى تراجع وضـعف مهـارة الاستماع عند الكبار والصغار على حد سواء، وباعتبار أن حفـظ القـرآن يعتمد فى المقام الأول على مهارة الاستماع، مما أدى إلى قلة الاهتمام بـه؛ ولذلك سوف تلاحظين كيف سنحاول معًا تنمية مهارة الاستماع لدى الطفل.

٢. زعم بعض التربويين أنه لا يجب أن يتعلّم الطفل عن طريق التلقين والحفظ دون فهم، وأنا لا أحبذ التلقين على إطلاقه وليـست هـذه وسـيلتى فـى التدريس، ولكنه من الوسائل الناجحة فى حفظ القرآن والتى لا غنى عنها.

والآن تعالَى معى لنستعرض بعض الخطوات العملية التى تساعد على حفظ القرآن:

أولاً: كيف نهيئ الطفل لحفظ القرآن الكريم؟

تتلخص طريقة تهيئة الطفل لحفظ القرآن فى النقاط الآتية:

- لابد أولاً أن تهيئى للطفل البيئة أو البيت القرآنى، بمعنى أن الطفل لن يُقبِل على الاهتمام بالقرآن ويحبه، وهو لا يجد القدوة فى أسرته الصغيرة التى تتمثل فى الأبوين والإخوة؛ لذا يجب على الأبوين أن يحرصا على حفظ القرآن وتعلُّمه، ويجد الأطفال كل الحرص من الوالدين على أن تكون هناك مواعيد محددة لقراءة القرآن حتى لو كان ربع حزب يوميًّا، والحرص على تعلُّم تلاوة القرآن، والحرص على أن يحفظا جزءًا محددًا من القرآن يلتزمان به، وليكن عشر آيات فى الأسبوع، مع حرص كل منهما أن يقرأ على الآخر غيبًا الجزء الذى حفظه، ويتنافسا فيمن ينتهى من الجزء المحدد للحفظ أولاً، على أن يكون ذلك على مسمع ومرأى من أبنائهما، ويمكن أن يكون ذلك على يد أحد القراء أو المتخصصين إما فى البيت أو فى المسجد.
- من الضرورى اصطحاب الأطفال إلى المساجد ليعتادوا التردد عليها.
- من الضرورى الانتباه إلى أن الحفظ لابد وأن يترتب عليه عمل، فيكون سلوك الأبوين متسقًا ومنسجمًا مع تعاليم القرآن الكريم، فالصحابة - رضوان الله عليهم- لم يكونوا يتجاوزون العشر آيات حتى يعملوا بما حفظوا.
- أن يتبادل الوالدان الهدايا بمناسبة الانتهاء من حفظ جزء من القرآن، وأن يكون الأطفال على علم بذلك، بل ويمكن أن يشتركوا فى شراء الهدايا.
- أن يلتزم الوالدان بالاستماع إلى برنامج إذاعى أو أكثر، أو يستمعا إلى بعض المحاضرات المسجلة ويتناقشا فيما سمعا أمام أطفالهما، ويحاول

الوالدان أن يكتسب الطفل هذه العادة، ويقرأ أحدهما بعض القصص والمقالات البسيطة على أطفالهما، ومن هنا يمكن تنمية مهارة الاستماع لدى الطفل.

- أن يستمع الأطفال إلى شرائط تسجيل بصوت أحد القرّاء ذوى الأصوات العذبة فى الترتيل والتلاوة، وذلك أثناء قيام الطفل بعمل محبب لديه كالرسم أو التلوين.
- أن يتعرف الطفل على هذا الكتاب العزيز من خلال قصة نزول القرآن على الرسول -صلى الله عليه وسلم- وعدد أجزائه، وعدد سوره، وأن تُحكَى له بعض القصص القرآنى كقصة البقرة، وأصحاب الجنتين، وأصحاب الكهف، وفيل أبرهة، والنملة، وهدهد سليمان، وقصص الأنبياء.
- لا تثقلى على طفلكِ بكثرة حفظ القرآن، فيمكنه مثلاً أن يحفظ جزءًا أو جزأين، وهذا يرجع إلى قدرته واستعداده لعملية الحفظ.

ثانيًا: متى يبدأ الطفل حفظ القرآن الكريم؟

يقول بعض المجتهدين إن الطفل يمكن أن يبدأ فى الحفظ وعمره ثلاث سنوات، والبعض يقول فى الرابعة، وأنا أزعم أنه يمكنه الحفظ قبل ذلك والأمر خاضع للتجريب، ومع ذلك فهناك نماذج من الأطفال الأفذاذ على مرّ التاريخ قد أنهوا حفظ القرآن فى هذه السن، وبعضهم أنهوه فى سن الخامسة، أما بالنسبة لطفلك فما عليكِ إلا أن تعرفى مدى قدرته على الحفظ، وكل أم -فى الغالب- تعرف هل ابنها سريع الحفظ قوى الذاكرة أم لا، وإذا لم تعرفى فعليك بملاحظة ابنك من الآن، فإذا لاحظت أنه جيد الحفظ أو سريع الحفظ فعليكِ أن:

- تضعى خطة مع والد الطفل (خطة سنوية، وشهرية، وأسبوعية، ويومية لحفظ القرآن الكريم) فى جدول يحتفظ به أحدكما، على أن يتم حفظ ست أجزاء مثلاً فى السنة، أى يتم حفظ القرآن كله فى خمس سنوات، بحيث يحفظ الطفل حوالى ٢٠ أو ٢٥ آية فى الأسبوع أى ربع حزب، وهناك من يستطيع أكثر من هذا، ولكنى أفضل هذا القدر حتى لا يكون فى الأمر حمل أو عبء، وهناك من لا يتحمل كل هذا، فأرجو عدم الإكراه، فقليل يُداوم عليه خير من كثير منقطع لا بركة فيه يُنسى لعدم تعهده واستمراره.
- يبدأ الطفل فى الحفظ من جزء (عمَّ).
- يستمع الطفل إلى الجزء المحدد له حفظه فى اليوم على شريط تسجيل (٤ أو ٥ آيات فى اليوم، وأحياناً تزيد عندما تكون الآيات قصيرة)، وذلك أثناء ممارسته لأى نشاط آخر يحبه كالتلوين أو الرسم، ولا يجب أن نُلزِم الطفل فى هذه الفترة بأن يجلس ويستمع إلى الآيات ويرددها.
- فى نهاية الأسبوع سنجد أن الطفل قد علقت بذهنه الآيات، ولكنه يحتاج فقط إلى ربطها بعضها البعض، وهنا يُفضل أن يذهب إلى مسجد ليرى أطفالاً فى مثل سنه يقومون بما يقوم به، فهذا أدعى إلى وجود التنافس، وليركز على هذه الآيات على يد أحد المتخصصين فإذا لم يتوفر ذلك، فأفضل أن يقوم به الأب وذلك فى يوم إجازته الأسبوعية، فيجلس الطفل بين يديه ويقرأ الأب أولاً الآيات، ثم يرددها الطفل، ولن يستغرق ذلك سوى عشرين دقيقة فى الغالب، ويجب المداومة على هذا الموعد، وعدم التخلف عنه حتى يحس الطفل بجدية الأمر، وحتى تتكون لديه عادة قراءة القرآن وتعهده والارتباط به وحبه، والأفضل أن يرتبط هذا اللقاء بشئ يحبه الطفل مثل القيام بالنزهة بعده أو القيام بالرحلة

الأسبوعية، ولا أعنى بهذا أن تعلق النزهة أو الرحلة بشرط الحفظ، كما أنبه إلى ضرورة إضفاء روح المرح والنشاط أثناء هذه الجلسة، مع عدم الإخلال بوقار واحترام ما يُتْلَى.

- يُثَاب الطفل كلما أحرز تقدمًا فى الحفظ بكلمة استحسان ومدح، وتذكيره بأن ما فعله هذا يُسعد والديه، فضلاً عن رضا ربه، ويُمكن أن يُدعَى لتناول الطعام خارج المنزل أو الخروج فى نزهة يفضلها.
- يُقَام له حفل بعد أن يحفظ الجزء.
- وحتى لا يتعرض القرآن للنسيان، فعلينا تعهده بالمراجعة باستمرار، وعلى الطفل أن يراجع فى الأسبوع كل ما حفظه خلال هذا الأسبوع بالطريقة التى ذكرتُها، وفى الشهر يراجع كل ما حفظه أثناء الشهر، وتكون المراجعة بإعادة الاستماع إلى الآيات من جهاز التسجيل فى الأيام الثلاثة الأخيرة من الشهر، ثم بالطريقة نفسها السابقة يقوم الوالد بتسميع ما حفظه الطفل خلال الشهر، ويفضل أن تقام مسابقة لهذه المراجعة إذا كان ذلك يتم بالمسجد، وتوزع جوائز رمزية.
- العمل بفكرة "الأستاذ البديل"، وهى عبارة عن تشجيع الطفل الذى أتقن تلاوة وحفظ جزء من القرآن إتقانًا تامًّا بأن يقوم بدور المحفظ لهذا الجزء لمن لم يحفظه بعد من إخوته أو من زملائه بالمسجد، على أن يتم ذلك تحت إشراف الأب أو الشيخ بالمسجد.

ثالثًا: كيف نعالج الملل؟

قلما يدخل الملل إلى نفس الطفل من الحفظ عندما نتبع الطريقة السابقة؛ لأننا لا نلزمه بالجلوس والتكرار إلا مرة واحدة فى الأسبوع، ولأن الحفظ ارتبط عنده

بأشياء يحبها، أما إذا تسرب إليه الفتور أو الملل فما علينا إلا أن نُحدِث بعض التغيير، فمثلاً:

- إذا بدا الفتور لدى الطفل فلا يُظهِر الوالدان اهتمامًا بهذا الفتور فى أول الأمر، بل يجب أن يستمرا فى طريقتهما (قراءة القرآن اليومية، والحفظ، وتعلم التلاوة... إلخ)، ولا يتغير شئ من نظامهما، ولا يُظهِرا الأسى على الطفل لفتوره فى الحفظ، كما يستمرا فى تشغيل المسجل بالآيات للطفل قبل النوم.
- أن يتعلَّم الطفل تشغيل الآيات المراد حفظها بنفسه من "أسطوانة"، ثم يمارس الرسم أو التلوين أو مساعدة الأم فى بعض الأعمال المنزلية وهو يستمع للآيات.
- يقوم المسجد بتنظيم رحلات، وفى أثناء الرحلة يتم التسميع للأولاد -إن أمكن ذلك- للتأكيد على حفظ الآيات، كما يمكن أن يتم ذلك فى السيارة أثناء الذهاب إلى رحلة من رحلات الأسرة فى الإجازة الأسبوعية، وليكن الأبوان قدوة فى ذلك فيطلب الأب من الأم أن تقوم بتسميع ما حفظته خلال الأسبوع، ثم يفعل ذلك الأب، ثم الابن.

رابعًا: كيف نساعد فى تنمية التذكر عند الطفل؟

إذا كان ابنك لا يستطيع الحفظ بدرجة جيدة فعليك اتباع ما سبق، ولكن يجب أن:

- يكون التخطيط للحفظ يتناسب مع قدرة الطفل على الحفظ، فمثلاً يمكن أن يحفظ ربع الحزب فى أسبوعين بدلاً من أسبوع واحد.
- ضرورة تكرار سماع الآيات أكثر من مرة قبل النوم، ويكون هذا آخر ما يسمعه الطفل قبل نومه.

- عدم تعنيف الطفل إذا أبطأ فى الحفظ.
- إثابَتُه أو مكافأته كلما أحرز تقدمًا فى الحفظ.
- زيادة عدد الآيات المراد حفظها فى اليوم، فبدلاً من آيتين اجعليها ثلاث آيات، واختبرى ابنك ومدى استجابته لهذه الزيادة، فإذا لم تحدث له أى بلبلة أو لَبْس فاستمرى على ذلك، وإذا لم يستجب فارجعى إلى النظام الذى يستطيعه وفقًا لقدرته على الحفظ والتذكر.
- قسِّمى الآيات الطويلة إلى مقاطع حتى يسهل حفظها.

وأخيرًا سيدتى وكما دائمًا أنصح كل القائمين على التربية بالصبر والمثابرة، فلتلتزميهما أنتِ ووالد الطفل؛ فإنهما مفتاح النجاح الحقيقى فى تربية الأبناء.

العصبية والانفعال فى وجه الأطفال

تقول إحدى الأمهات:

أشعر أن ردود أفعالى على تصرفات أبنائى الخاطئة تبدو انفعالية بشكل زائد، فأنا عندى طفل يبلغ من العمر سنتين ونصف، وهو نشيط عادةً، ولكن ليس بصورة مرضية، أشعر أننى أبالغ فى عقابه أو الرد على أخطائه وبخاصة مع تعب وإرهاق نهاية اليوم، وحتى لا تفهموننى خطأً فأنا لا أضربه عدا ضرباتٍ خفيفةً على يديه، ولكننى أصرخ فى وجهه كثيرًا، وأحبسه لدقائق فى غرفته أحيانًا، وفى كل مرة أُعاقبه أشعر بالذنب؛ لأن هذا هو السن التى يرتكب فيها الأطفال الحماقات، وأشعر أننى أتصرف بشكل خاطئ رغم أننى تفرغت لتربيته هو وأخته، ماذا أفعل عندما أشعر بالغضب بدلاً من الصراخ أو العقاب الذى أندم عليه بعد ذلك؟

ولهذه الأم نقول:

مشكلة الأمهات أحيانًا أنهن لا يعترفن بأنهن سبب فى مشكلات أبنائهن، أنا أعلم تمامًا أن حدة المزاج والثورة والعصبية أمر يعكر على الإنسان صفو حياته بصفة عامة، ويربك علاقاته مع أبنائه بصفة خاصة، والحل سأستعرضه لكِ فى الخطوات التالية:

١. راقبى سلوككِ العصبى مع ابنك لمدة ثلاثة أيام أو أسبوع على الأكثر، واكتبى هذه السلوكيات فى قائمة.

٢. حددى لكل سلوك درجة العصبية من ١ إلى ٣ فرقم (٣) للسلوك الذى يثيرك بشكل حاد ورقم (٢) للمتوسط ورقم (١) لأقلهم حدة.

٣. ناقشى مع نفسك أو مع زوجك هذه السلوكيات ومدى مبالغتك فيها، وحاولى أن تعرفى السبب الحقيقى وراء هذه الثورة، فربما كان الأمر متعلقًا ببعض الخبرات السابقة السيئة فى حياتك واختزنت فى اللاشعور والتى تطل برأسها الآن على حياتك لتفسدها، وتؤثر بالتالى على علاقتك بابنك، سواء فى الوقت الحالى أو فيما بعد عندما يكبر ولا يستطيع أن يعبر لك عما بداخله ويعتاد الخوف، وما يترتب عليه من إفساد لحياته هو أيضًا.

٤. ركزى لمدة شهر على السلوكيات رقم (١) وحاولى التخلص منها، وشهر ونصف للسلوكيات رقم (٢)، وشهران للسلوكيات رقم (٣).

مع اتباع ما يلى لمساعدتك على تغيير هذا السلوك:

- هيئى مكانًا مناسبًا لابنك للعب فيه، بحيث لا تكون الأشياء القابلة للكسر فى متناول يده.
- تذكرى دائمًا أن ابنك فى مرحلة استكشاف للعالم الخارجى، كما أن هذه المرحلة تتميز بالحركة المستمرة والنشاط، وهذا مدعاة للفخر به والمرح

معه وليس لعقابه، كما أنه يدرك الأحجام بالنسبة لنفسه، فكل ما حوله عملاق، تذكرى ذلك وتخيليه جيدًا عندما تثورين عليه.

- إذا أخطأ طفلك، عليكِ أن تتجاهلى هذا الخطأ، وتتظاهرى بعدم رؤيتك له فى حالة عدم إدراكه لرؤيتك له، إلا إذا كان الأمر خطيرًا مثل الاقتراب من الكهرباء أو النار، فعليكِ فى هذه الحالة تنبيهه بصوت حذر، وليس بصرخة فزع.
- أما إذا علم برؤيتك له أثناء ارتكاب الخطأ فعليكِ وقبل أن تبدئى فى عقابه أن تغيرى وضعك، فإذا كنت مضطجعة فاجلسى، وإن كنت جالسة فقفى، وذلك كما علمنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فى حالات الغضب، فهذا من شأنه أن يحد من ثورتك.
- ذكّرى نفسكِ بأن ابنك لا دخل له فى ظروفك الخارجية التى قد تؤثر سلبيًا على أعصابك، وأنه لا حول له ولا قوة.
- لا يجب على الإطلاق حبس الطفل فى حجرته ولو للحظات كعقاب؛ لأن ذلك من شأنه أن يفقده الأمان.
- عليكِ أن تثيبى نفسك إذا نجحتِ فى ضبط انفعالاتك فى موقفين متتاليين بكلمات مشجعة بأنكِ أحسنتِ صنعًا، وأنكِ حتما ستصبحين أمًّا مثالية.. أما إذا أخفقتِ فيهما فاحذرى أن تقللى من شأنك وترددى بعض العبارات المثبطة مثل أنا أم سيئة، أنا لا أصلح أن أكون أمًّا، أنا لا أحسن التربية، ولكن عليكِ أن تقولى لقد أخفقتُ هذه المرة، ولكنى سأنجح فى المرات القادمة إن شاء الله.

- احذرى عند إخفاقك أن تحاولى تعويض ابنك عما فعلتِ فى مواقف أخـــرى، أو تدليله كنوع من تخفيف شعورك بالذنب، ولكن يكون معيارك الحقيقى فى التعامل مع ابنك هو الموقف نفسه، وما يستحقه الابن فى هذا الموقف.
- حاولى تعزيز الجوانب الإيجابية فى طفلك، والثناء عليه عندما يقوم بالسلوك المرغوب فيه، بل أخبرى والده عن هذا السلوك عند عودته من عمله.
- وحتى تضمنى إلى حد كبير إطاعة أوامرك فـــإن بعـــض علمـــاء التربيـــة ينصحون باتباع هذه النصائح:
  - الحرص على جذب انتباه الطفل قبل إعطاء الأوامر.
  - استخدام لغة يفهمها الطفل.
  - إعطاء الأمر ببطء ووضوح كافٍ ليتبعه الطفل.
  - عدم إعطائه أوامر كثيرة مرة واحدة.
  - الثبات وعدم الأمر بشئ ثم النهى عنه بعد ذلك.
  - إعطاء الأمر بعمل شئ له معنى بالنسبة للطفل.
  - عدم تحدى الطفل والعناد معه لكى ينفذ الأمر.
  - المعقولية والعدل فى إصدار الأوامر.
  - إثابة الطفل على الطاعة والسلوك السوى (ليس بشئ مادى مثل الحلوى أو ما شابه ذلك، ولكن كلمة أنا مسرورة منك أو أنت ولد ممتاز تكفـــى أو حتى ابتسامة رضا).
  - عدم استخدام التهديد أو الرشوة.
  - متابعة تنفيذ الطفل للأوامر.
  - عدم اللجوء للعنف كوسيلة لتعديل السلوك الخاطئ.

وأخيرا سيدتى، ثقى تمامًا أنكِ تحملين بين جنباتكِ أمًا مثالية رائعة، وكل ما عليك أن تتصرفى بتلقائية دون شد وجذب مع نفسك، فاستمتعى بطفلك وأمومتك، وتذكرى دائما نعمة الله عليك بهذه المكانة، وحاولى إسعاد ابنك، فهذه السن من أجمل المراحل العمرية التى تستطيعين فيها مشاركة ابنك لعبه ومرحه وأنشطته المتعددة من القراءة له والغناء معه والقيام برحلات والغناء والتمثيل والتسوق معًا.

التعامل مع مشكلات الأطفال السلوكية

تقول إحدى الأمهات:

ابنتى تبلغ من العمر ثلاث سنوات، أحاول أن أُحَفِّظَها القرآن لكنها تسمع منا فقط ولا تقبل أن تردد بعدنا، فلا أعرف هل حفظت أم لا، وأسألها أن تقرأ فترفض.. كما أنها لا تقبل الخروج إلا معى وترفض الذهاب بمفردها مع والدها، مع العلم أنها كانت تخرج معه قبل ذلك، ولكنها بدأت بالتدريج فى عدم تقبل الخروج معه وخاصة بعد أن ذهب بها مرتين لعيادة طبيب الأسنان، وهى الآن ترفض حتى رؤية أصدقاء والدها أو أى رجل آخر، كما أنها لا تلعب مع الأطفال الذين هم فى مثل سنها، كما أن طبعها صعب جدًا، وأنا الآن حامل ولا أدرى كيف ستقابل المولود الجديد مع العلم أن لها أخ عمره سبع سنوات.

ولهذه الأم نقول:

مشكلة طفلتك الصغيرة البالغة من العمر ثلاث سنوات، تدور حول ٤ سلوكيات تربوية مقلقة لكما، وهى:

١. قلة حفظها وتقبلها التعليمى من الوالدين.

٢. كراهية الخروج مع والدها.
٣. عدم الاختلاط بالجماعة، والاندماج مع الأقران.
٤. الخوف عليها من آثار الضيف الجديد القادم غير المرغوب فيه (بالنسبة لها).

بداية أود أن أذكركِ بهذه "المنهجية الذهبية للتعامل مع مشاكل الأبناء السلوكية"، وذلك من أجل البحث عن الحل المثالى لأى مشكلة من مشاكل الطفولة، والتى يجب أن تتم وفق منهجية معينة ذات خطوات أربع:

- **الخطوة الأولى:** فهم المرحلة السنية التى يمر بها الطفل، وسماتها، وخصائصها المميزة، واحتياجاته فيها.
- **الخطوة الثانية:** كيفية التعامل مع هذه المرحلة السنية، وكيفية إشباع هذه الاحتياجات.
- **الخطوة الثالثة:** فهم الظروف أو التغيرات البيئية غير الطبيعية، التى تمر بها الأسرة عامة والطفل بشكل خاص، والتى أدت إلى تغير سلوك الطفل، فأوجدت المشكلة.
- **الخطوة الرابعة:** محاولة الوقاية من الحالة السلوكية الخاصة، لتغييرها وعلاج المشكلة.

هذه القاعدة التربوية يفهم منها أن أى سلوك غير سوى عند الأطفال ما هو إلا رسالة رفض أو تمرد ضد خلل تربوى أُسَرِى أو بيئى يواجهه، أى أن السلوكيات غير السوية عند الأطفال، ما هى إلا طريقة أو وسيلة دفاعية، أو سلاح هجومى ضد تعامل الآخرين معه.

لذا، فلو تمت -وبطريقة صحيحة- تلك المنهجية الرباعية، فى كل مشاكلنا مع أبنائنا، ما كانت هناك مشكلات ولاستمتعنا بأبنائنا، ولاستمتعنا بكل مرحلة

يمرون بها، ولأصبحنا نجيد فن التعامل مع كل مرحلة بفهمنا لها مسبقا، ولتوقعاتنا لما سوف يحدث منهم بعد ذلك، فالتربية فن وعلم جيد ومتعة لا تدانيها متعة.

ولنطبق هذه القواعد المنهجية على حالة طفلتك الصغيرة:

- **الخطوة الأولى:** ما هى أهم وأبرز سمات وخصائص واحتياجات هذه المرحلة السنية (ثلاث أو أربع سنوات)؟ أى ما يجب عليكِ فهمه حول شخصية ابنتك الحبيبة؟

١. الجانب العاطفى "النفسى والاجتماعى" فى سن ٣ سنوات:

- صعوبة فى مشاركة المشاعر مع الآخرين.
- الخوف من الارتفاعات، والفشل، والمواقف الجديدة.
- الخجل.
- بداية تشكيل الجانب الأخلاقى.
- انخفاض معدلات العنف البدنى والحركى.
- زيادة مستوى العنف اللفظى.
- يفضل الطفل اللعب فى مجموعات صغيرة أو أن يلعب وحيدًا.
- يحتاج إلى تشجيع وتحفيز دائم.

٢. الجانب الفكرى للأطفال فى سن ٣ سنوات:

- زيادة القدرة على التعبير عن الرأى لفظيًا ولكن بدون تركيز.
- وقت الاستماع أقل من ٣٠ ثانية فقط.
- المحاولة والخطأ وسيلة اكتشاف العالم.
- اللعب الحر والتفكير الخيالى.

- يمكن للطفل اتباع التعليمات ولكن فيما لا يزيد عن فكرتين.
- يستخدم الطفل الأسئلة والطلبات والأوامر كوسيلة اتصال بالعالم المحيط.
- يجمع الطفل الكثير من المعلومات والرموز فى عقله، ولكن بدون منطق فى الفهم أو الربط بينها (مرحلة التلقى والتخزين).

- **الخطوة الثانية:** كيفية التعامل مع هذه المرحلة السنية، وإشباع هذه الاحتياجات، أى ما هى واجباتك التربوية تجاه ابنتك الحبيبة فى هذه المرحلة السنية؟

١. الدعم الإيجابي بالتشجيع والتقدير.
٢. تلقينها القيم الطيبة.
٣. تجنب توجيه اللوم لها، وخاصة أمام الآخرين.
٤. معاونتها فى الترويح واللعب.
٥. احترام تجاربها وتجنب تخطيئها.
٦. الاستماع الجيد لها.
٧. الحوار والإجابة عن أسئلتها.
٨. احترام خصائص وسمات مرحلتها السنية.

- **الخطوة الثالثة:** فهم الظروف أو التغيرات البيئية غير الطبيعية، التى تمر بها الأسرة عامة والطفل بشكل خاص، والتى أدت إلى تغير سلوك الطفل، فأوجدت هذه المشكلة:

١. المرحلة السنية التى تمر بها الطفلة الصغيرة، وعدم فهمها من قِبَل الوالدين، مما أدى إلى نوع من الجفاء وزيادة الفجوة بين العقليتين، راجعى فى السمات الفكرية مدة الإصغاء

عندها، وتخيلى أنها مجرد دقيقة أو نصف دقيقة فقط، ثم ينتابها الملل من المتحدث، وتأملى كذلك حبها للعب والتعامل مع مجموعات صغيرة أو اللعب وحدها، وهى من السمات العاطفية.

٢. التجربة المريرة فى الخروج مع الوالد للطبيب، ولعل الطبيب أساء التعامل معها، وبالتالى تكوَّن عند طفلتك رابط ذهنى وتجربة خلاصتها أن أى خروج مع الوالد مؤلم وغير سار، فكانت النتيجة رفضها للخروج مع الوالد إطلاقًا.

٣. إياك ووصولها للإحساس بالغيرة من الضيف القادم.

- **الخطوة الرابعة:** محاولة الوقاية من الحالة السلوكية الخاصة، لتغييرها وعلاج المشكلة، من خلال:

١. فهم المرحلة السنية للطفلة جيدًا.

٢. إشباع حاجاتها النفسية فى هذه المرحلة الغضة والجميلة.

٣. الاستعانة بشخص آخر يقوم بتحفيظها كنوع من طرد الملل التعليمى والروتينى.

٤. استخدام وسائل تربوية إيضاحية لتوصيل الفكرة والجزء المراد حفظه، ولو بشريط أو برامج تعليمية جاهزة على (CD) عن طريق الكومبيوتر أو الألعاب وهى كثيرة ومتوفرة.

٥. محاولة تعويد الطفلة على التعامل الاجتماعى المفتوح مع أقرانها، وذلك بمحاولة دمجها بالآخرين، سواء بالزيارة أو فى النوادى أو فى الحضانات.

٦. الاهتمام بها فى الأيام القادمة، وإشعارها أن الضيف القادم الجديد لن يسلبها المكانة والاهتمام.

وأخيرًا إليكِ نصائح ذهبية لبناء الطفل اجتماعيًا فى هذه المرحلة:

يتم ذلك عن طريق التواصل بين البيت والمدرسة وكل الأماكن التى يذهب إليها الطفل، حتى ولو كانت بيوت الأجداد والأقارب، من خلال:

- الاقتراب من الطفل وإعطاؤه قدرًا من الأمان يقيه من الخوف من البيئة.
- اصطحابه إلى مجالس الكبار حتى يتعود على مقابلة ومعاملة الأقارب والغرباء.
- اصطحابه إلى زيارة الأقارب وتعمد تركه معهم لبعض الوقت بعيدًا عن مراقبة وحماية الوالدين بالتدريج، حتى ولو ترك لدقائق تزيد تدريجيًا إلى ساعات، ثم إلى يوم كامل.
- تكليفه ببعض المهام، ولو بشراء بعض الحاجات ومراقبته عن بعد وتدريجيًا حتى يتم إرساله وحيدًا دون مراقبة، فهذا من شأنه أن يبث فيه روح الثقة بالنفس والاعتماد عليها.
- مكافأته على كل مهمة ينجزها، وكل عمل جيد يقوم به مما يشجعه ويحفزه ويدعمه إيجابيًا.
- حفظ سره وعدم كشف أفعاله السلبية أمام الغير، فهذا من شأنه أن يعطيه الأمان والشجاعة وعدم الخوف من الآخرين.
- عدم تصيد زلاته، السماح له بقدر من الخطأ المقبول.
- الدعاء الخاشع الخالص لله سبحانه وتعالى أن يحفظه ويقيه ويجعله من الذرية الصالحة.

الصبر والتكرار أساس التربية

تقول إحدى الأمهات:

ابنى عمره سنتان، ماذا أفعل إذا ضرب طفلاً أصغر منه، عمره ثمانية أشهر يرفع يديه فى الهواء وينزلهما لعبًا، لكن ابنى يفهمه كهجوم عليه؟ أو عندما يمسك الطفل الآخر بأى لعبة من ألعابه ويريد هو أن يلعب بها فيضربه؟ كنت قد اتبعت أنا ووالده مبدأ كرسى العقاب بدلاً من الضرب أو أى عقاب فيه إيذاء جسدى.

المشكلة بدأت فى اجتماع العائلة الأسبوعى فى بيت الجد؛ حيث إن ابنى اقترب من ابن عمه لمسافة قصيرة فأخذ الجميع فى تنبيهه بالصوت العالى ألا يضربه أو يؤذيه بطريقة حفزت ابنى لفعل هذا الشئ المنهى عنه فقام بضربه على رأسه بيده، وهنا بدأت المشكلة فى محيط الأسرة كيف لا يُضرَب، وأن مبدأ كرسى العقاب والاعتذار يطبق على أى خطأ إلا الاعتداء على الغير؛ فيجب أن يكون هناك عقاب رادع أقوى، خصوصًا أننى لا أجلسه على الكرسى من أول مرة، فإذا فعل الخطأ أجعله يعتذر ويُقَبِّل الشخص الآخر، وأعلمه أنه إذا فعل ذلك مرة أخرى فسأجلسه عليه، والتزم بذلك، وهو يستجيب فى معظم المرات، وطبعا ذلك لا يشفى غليل الأهل؛ فلا أدرى هل أنبهه فى أول الزيارة وقبل قيامه بضرب أحد بأنه سيجلس على كرسى العقاب؟ - أم أننى سألفت نظره لشئ لم يفعله وأحفزه له - لأنه لابد من التهديد به قبل استعماله حتى لا يفقد معناه؟

لكن المشكلة الآن تكبر مع انفعال الآخرين عليه عند قيامه بضرب أى طفل والصراخ المصاحب له، وهو ما لاحظت أنه يثيره أكثر لإكمال الضرب أو معاودته فى كل زيارة لبيت العائلة، وتبدأ فى كل مرة المناقشات حول ضرورة

ضربه ليمتنع عن ذلك؛ حيث إن جده يتخذ مبدأ من يَضرِب يجب أن يُـضرَب؛ لدرجة أننى خائفة من تفاقم المشكلة بين الكبار وغضب والد زوجى من زوجى، وجدت أن من أحسن الحلول هو تجنب الزيارات الطويلة أو المنتظمة لأقلل من فترات الاحتكاك الطويل بهم.. فهل هذا هو الحل؟

وأود أن أقول إنه من المستحيل إقناع جده بغير مبدأ الضرب الـذى ربـى أولاده عليه، وهم فى نظره أحسن الناس الآن، وأيضا الآخرون يعبـرون عـن انفعالهم بصوت عالٍ، ويلومون ابنى على فعلته الشنيعة بالسب والـصراخ فـى وجهه والتهديد بضربه.

أيضًا من توابع هذه المشكلة أن ابنى أصبح يتجه نحو الطفل الصغير بـلا سبب مقنع للكبار ويقوم بضربه، وأصبح يفعل ذلك مع أى طفل يـصغره مـن الضيوف مثلاً.. بصراحة أنا قلقة لأنه تعدى الضرب إلى القـرص وتفعـيص الوجه بيديه، ويفعل ذلك حتى أصل إليه وأمنعه بالشدة، مع أننى أحاول دائمًا أن أغرس فيه الرسائل الإيجابية يوميًا قبل أى زيارة.

وأتساءل إذا كان السبب خارجيًا فى خطأ ابنى فكيف أصححه؟ لأننى أعلـم أنه من الخطأ فى التربية أن ألقى باللوم على من حولى؟

ونقول لهذه الأم:

ما أسهل التربية بالضرب، فهو حل سهل سريع، وينهـى الموقـف دائمًـا لصالحك، ويجبر الطفل على الانصياع للأوامر فورًا، ولكن كـل هـذه فوائـد مؤقتة، وبعد ذلك تظهر الآثار الجانبية من العنف والعدوانية والإحساس بالقهر، وكسر العلاقة بينك وبينه، وكسر كرامته واحترامه لنفسه، والأخطر من ذلك كله هو تعلُّم الطفل ألا يقترف الخطأ طالما يراه أحد يمكن أن يضربه، ولكن عند ما

يجد نفسه بعيدًا عن الرقابة يسرع لممارسة كل الأخطاء المحروم منها قسرًا وخوفًا لا اقتناعًا وفهمًا ورغبةً فى إرضائك.

أعلم أنكِ تفهمين ذلك، ولكن المشكلة فى أهل والده، ولكن أنا أردت فقط أن أذكركِ، وأؤكد على هذه المعانى والمعلومات.

نأتى لمشكلة اجتماع العائلة، أولاً تذكَّرى أن ابنكِ صغير جدًا، وأنه لا يزال فى طور التعلم والتعود على الصواب والخطأ، وعلى التحكم فى تصرفاته، ولكنه رغم ذلك يعى ويفهم أنهم غاضبون منه لأنه يضرب، وأنهم يستحثونك ويدفعونك لضربه؛ ولهذا فهو يعاندهم، ويحاول أن يفعل ما يضايقهم.

ثانيًا عند تصرف ابنكِ بطريقة خاطئة لا تعاتبيه أو تعاقبيه أمامهم، ولا تسمحى بفتح مجال الحوار والمناقشة حول وسائل عقابه.. كل ما عليكِ هو أخذه فورًا وبهدوء إلى حجرة منفصلة والتفاهم معه كما تعودتِ دائمًا بعيدًا عنهم، ويمكنك أن تعاقبيه ولكن ليس أمامهم، وأفهميه خطأه وعاقبيه، وعندما ينتهى كل ذلك دعيه يصالحكِ، ويعتذر لكِ، ثم اتفقى معه على جائزة لأنه كان ولدًا مطيعًا، ولابد أن يخرج الآن ويعتذر للطفل الذى ضربه ويعتذر لجده؛ لأنه غاضب منه.

وعندما يعاتبكِ الجد لا تنفعلى وتدافعى عن نفسك وأسلوبك وتقولى إن هذه هى التربية الحديثة والصحيحة، ولكن فقط قولى لهم إنكِ قرأتِ أن الرسول – صلى الله عليه وسلم– أمرنا بضرب الأطفال فقط من أجل الصلاة وعند بلوغهم عشر سنوات، وبعد تعويدهم عليها لمدة ثلاث سنوات قبلها.

ولا تحاولى التركيز معه قبل الزيارة على عدم الضرب؛ لأن ذلك كما قلتِ سيلفت نظره للمشكلة، ولكن اتفقى معه على مجموعة من السلوكيات الصحيحة فى أثناء الزيارة، مثل سماع الكلام وعدم إثارة الشغب وعدم الصراخ، ويكون الضرب أحد هذه البنود، وأنه لو كان مطيعًا ونفذ ذلك فسيكون له مكافأة بعد

الزيارة، وحاولى أن تساعديه على أخذ هدايا بسيطة مثل الحلوى أو البونبون أو البالونات لكل الأطفال قبل الذهاب للزيارة ليتعلم الكرم والعطاء.

ولا تقللى من الزيارات العائلية؛ فالجو العائلى الكبير وصلة الأرحام من أكثر المعانى والأجواء التربوية التى افتقدناها، ولكن احرصى على مراقبة ابنك فى أثناء الزيارة، وحاولى دائمًا شغل وقت الأولاد كلهم بلعبات جماعية تشاركينهم فيها، فهذا سيعلِّمهم ويعلِّم ابنكِ معهم روح التعاون والأخوة.

لا تنسى أن ابنكِ طفل صغير ووحيد؛ ولذلك فإنه لا يجيد فن التواصل مع الأطفال، ولكن عندما يُرزَق بأشقاء ويتعامل معهم ومع الوقت والصبر والتكرار سينضج ويتحسن كثيرًا.

وسأوضح رأيى فى مشكلة طفلكِ بالنقاط التربوية التالية:

- الضرب أسلوب غير فعال مع الطفل فى مرحلة الطفولة المبكرة، على الرغم من أن حوالى ٩٠% من الآباء يلجئون كثيرًا لضرب الطفل كأسلوب لتأديبه، هذا فى الواقع غير تربوى، وهناك وسائل كثيرة ناجحة لمساعدة الطفل على التصرف السليم. وقد حذر كثير من خبراء طب الأطفال من هذا النوع من العقاب، حيث يعلِّم الطفل أن السلوك العدوانى هو الحل للصراعات، فعلى الرغم من أن الضرب يقلل أو يوقف فورًا السلوك غير المرغوب فيه، إلا أنه يفقد فاعليته بتكراره، وقد يؤثر سلبًا على علاقة الطفل بأبويه، ولذلك فمن الأفضل حرمانه من شئ يحبه.
- يمكن للوالدين تجنب حدوث السلوك غير المرغوب فيه عن طريق مساعدة الطفل فى استخدام الكلمات التى تعبر عن مشاعره، وفهم عواقب سلوكه، والمحافظة على علاقة دافئة إيجابية مع الطفل.

- إن الطفل صفحة بيضاء تشكلها التنشئة والتربية، فالأطفال يتصرفون حسب توقعك لتصرفاتهم وقدراتهم، وخصوصا فى السبع سنوات الأولى من العمر، فقد أثبتت الدراسات أن ٩٠% من فهم الذات (من نحن؟ وما قدراتنا؟ وما عيوبنا؟ وما مقدار أهميتنا؟) تتم فى السنوات السبع الأولى من العمر، فالطفل يؤمن إيماناً راسخاً بما نخبره به، فإذا أخبرناه بطريقة مباشرة أو غير مباشرة (بالحديث عنه مع الآخرين) بأنه عنيد، فسوف يكون كذلك، وإذا أخبرناه بأنه خجول فسوف يكون كذلك، لهذا يجب على كل أب وأم الحذر من نوعية الرسائل التى تصل لأطفالهم؛ لأنها ستشكل معتقداتهم الداخلية عن أنفسهم وقدراتهم فى الوقت الراهن وفى المستقبل، من هنا تبرز أهمية التنشئة الاجتماعية، سواء من الأسرة الصغيرة.. الأب والأم، أو الأسرة الممتدة وتشمل الجدة والجد والأعمام، وغالبا يؤمن الأجداد بأساليب تربوية كانت ناجحة فى زمن تربيتهم للآباء، ويفرضون تلك الأساليب على أبنائهم وزوجاتهم لاتباعها فى تربية أبنائهم... وهذا الأسلوب خاطئ؛ فلكل جيل زمن مختلف عن الآخر، وعلى الرغم من أن الأخلاقيات واحدة أصيلة مكتسبة، تؤكدها التنشئة الإسلامية، ولكن لكل جيل سمات وخصائص تتشكل بما يتناسب مع متطلبات البيئة والزمن الذى يعيشه، لذلك تختلف تأثيرات المبادئ التربوية من زمن لآخر ومن جيل لآخر، وما قد نجح فى زمن قد لا ينجح فى زمن آخر، لذلك يُنصَح أولياء الأمور بالاطلاع المستمر على نتائج الدراسات التربوية التى تطلعهم باستمرار على كل ما هو مفيد من أجل تهيئة أجواء تربوية أفضل لأطفالنا، تنتج جيلاً مبدعًا واعيًا وخلاقًا، بدلاً من جيل منكسر منهزم أمام أى أزمة أو موقف يواجهه فى الحياة، يعالج أموره بالعنف فقط.

لذلك عزيزتى الأم أنصحك لتعديل أى سلوك غير مرغوب فيه بالأساليب التربوية التالية:

- القصص أسلوب تربوى ذكى فى توجيه سلوك أطفالنا، وتزداد سعادة الطفل بالقصص والاستماع إليها خاصة قبل النوم، حيث يساعده ذلك على النوم باسترخاء وسعادة، كما توجه القصة سلوك الطفل، وتشكل أفكاره خاصة عندما تكون مناسبة لمرحلته العمرية، وتمتاز بهدف واضح وأساليب تربوية سليمة فى توصيل الهدف للطفل، وقد أثبتت الدراسات النفسية والتربوية فى العالم أن أسلوب القصص من أكثر الأساليب نجاحًا فى تعديل السلوك لدى الأطفال، خاصة القصص التى تتحدث عن حكايات تصور واقع الطفل، وتلبى احتياجاته التعليمية والنفسية، سواء من خلال قصص الحيوانات والطيور أو أطفال فى مثل عمرهم؛ حيث يؤكد علم البرمجة اللغوية العصبية أن أفضل وقت يكون فيه العقل الباطن متهيئا للبرمجة هو ما بين حالة اليقظة واستسلام الشخص للنوم، فى هذه الحالة تستطيعين برمجة الطفل من خلال القصة التى تذكرين فيها ما تريدين أن توصليه لعقل الطفل الباطن.
- كذلك تستطيعين استغلال وقت ما قبل النوم بالحوار المباشر مع الطفل عن موقف أو سلوك إيجابى قام به فى أثناء ذلك اليوم، مثل "لقد كنتَ فعلاً طفلاً محبوبًا عندما ذهبت بسرعة وساعدت طفلاً يبكى ومسحت دموعه، يجب أن تكون فخورا بنفسك".
- فى أثناء نوم الطفل العميق رددى عبارات إيجابية فى أذنيه لبرمجتها فى عقله الباطن، مثل "ماما تحب زياد" أو "زياد يحب أخته الصغيرة"، بشرط عدم استخدام النفى فلا نقول: "زياد لا يضرب أخته الصغيرة"، وهكذا باستخدام عبارات الإيجاب وليس النفى.

- استخدام التغذية الراجعة لتشجيع السلوكيات الإيجابية، بشرط التركيز على تشجيع السلوك والثناء عليه وليس على الطفل نفسه، أى التركيز على إيجابيات الطفل فى شخصيته وسلوكه ولو فى أمور صغيرة وإبرازها والتعبير عنها، وهذا كفيل بإزالة السلبيات.. ولعمل ذلك اربطى الصفة بسلوك صدر من الطفل فعلاً؛ وذلك حتى يتم تصديقها من قبل الطفل، مثل: "أنت فعلاً متعاون" عندما يقدم مساعدة لكِ أو للآخرين، وكرري ذلك ثلاث مرات منفصلة، وهذا يضمن أن طفلك سوف ينطلق فى الحياة وهو يؤمن بأنه يملك هذه الصفة، كذلك تحدثى عن هذه الصفة أو السلوك الإيجابى فى طفلك مع شخص آخر كأبيه أو أحد الأقارب أو الأصدقاء؛ فالطفل يحب أن يثبت ذاته ويتحدث عنه الآخرون، فهذا سيعزز السلوك الإيجابى لديه ويحد من السلوك السلبى.

مما سبق أتوجه لك عزيزتى الأم بالقول: إن مشكلتكِ هى مشكلة تعانى منها معظم الأمهات، ومما يزيد المشكلة سوءًا الجو الموجِّه لسلوك الطفل لديكِ؛ حيث يتسم باللوم والعتاب والعقاب، وكأن الطفل لم يبلغ العامين فقط بل الست سنوات أو أكثر، إن أسلوب العقاب أسلوب غير مجدٍ مع الأطفال فى مرحلة الطفولة المبكرة (ويقصد بها الفترة من الميلاد وحتى سن ست سنوات)، وغالبا ما يتعلم الطفل فى سنواته الست الأولى من خلال اللعب والقصة. وتأكدى أن أسلوب العقاب أسلوب خطير فى هذا العمر؛ حيث إنه يعلم الطفل أن يواجه مشكلاته بالعقاب، فمثلاً لو أخذ طفل آخر لعبته فإنه يستخدم أسلوب الضرب لاسترجاعها، وهذا ما يحدث فعلاً مع طفلكِ، بالرغم من أنه من الممكن أن يستخدم أساليب أخرى لاسترجاعها، وتدل على إيجابية سلوكه.. مثل أن يشاركه اللعب بها مثلاً.

وأؤكد لكِ أن الطفل يرغب دائمًا فى ممارسة ما يمنعه عنه الكبـــار، لـــذلك ننصح الكبار بألا يستخدموا مع الطفل أسلوب النهى مثلاً، وحاولى تعديل سلوك طفلكِ بالأساليب التربوية سابقة الذكر وكررى محاولاتك؛ لأن الطفل لن يستجيب من المرة الأولى ولا الثانية؛ بل يحتاج لتكرار التعلم حتـــى يتـــصرف بـــشكل أفضل.

فى مرحلة الطفولة المبكرة (وهى التى يمر بها طفلك) يتسم الطفل بـــالغيرة والأنانية وحب الذات، وبالتالى فإن مواجهة اعتدائه على الآخرين بنفس الأسلوب أو بالنهى سيزيده إصرارًا، لذلك أرجو منك أن يتسع صدركِ لأخطـــاء طفلـــكِ، وأن تحاولى تعديلها بالحوار معه، وحاولى أثناء الحوار أن تتواصل نظراتكِ مع نظراتِه، وكونى قريبة منه، ولا تشعريه بالنبذ وعدم التقبل؛ بل أشعريه بالحـــب والرغبة فى أن يكون أفضل من ذلك، فهذا سيساعده فى معرفـــة الخطـــأ مـــن الصواب، ومستقبلاً يكتسب السلوك الإيجابى.

واعلمى أن مرحلة الطفولة وتربية الأبناء تحتاج للصبر واتساع الصدر كى يكون أبناؤنا أفضل.